كورونا (أكوفيد 19) بين الحروب البيولوجية والحروب الاقتصادية

* مركز حراب للبحوث والدراسات

حسن سلمان خليفة البيضاني*

باحث من العراق

الملخص:

تحاول الدراسة تحديد المفهوم العام للحروب البايولوجية مع تبيان لطبيعة العلاقة بين هذه الحروب والاوبئة التي سادت العالم خلال حقب التاريخ المختلفة, ومدى إمكانية ان تكون مثل هذه الأدوات المتمثلة بالأوبئة كوسيلة حربية, وصولا الى كورونا وتداعياتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وما افرزته اشهر تفشيها من مستجدات لم تكن مألوفة على الصعيد العالمي, والبحث في أدوات القوة الناعمة الامريكية واحتمالية استغلالها لمثل هذه الازمة وصولا الى تحديد دور الجيوش في مكافحتها وشكل الحروب المستقبلية بعد حروب الجيلين الرابع والخامس، إضافة الى تأثيراتها على الأداء الحربي والقتالي للجيوش.

Corona (COVID-19) between Biological Wars and Economic Wars

Hasan Salman Khalifa Al-Baidhani

Researcher from Iraq
Hirab Centre for Researches and Studies

Abstract:

The study attempts to define the general concept of biological wars with an indication for the nature of the relationship between these wars and the epidemics that prevailed in the world during different periods of history, and the extent to which such tools can be represented by epidemics as a method of warfare, up to Corona and its economic, social and military repercussions and the developments of it`s outbreak months that were not familiar at the

global level, and researching for the tools of the American soft power and the possibility of exploiting it for such a crisis, leading to determining the role of armies in combating them and the shape of future wars after the wars of the fourth and fifth generations, in addition to their effects on the military and combat performance of the armies.

المقدمــة:

بدايات هذا القرن حفلت بالكثير من المتغيرات، حتى باتت البشرية امام حقبة زمنية تكاد ان تكون، وفي اغلب تفاصيلها مختلفة جذرياً عما سبقها، وبقدر تعلق الامور بالحروب وماسيها، فأن امتدادات حرب الخليج الاولى والثانية القت بضلالها، وبقوة، على ما سيحصل في هذا القرن، فلم يكتمل العام الاول منه واذا بحرب من طراز جديد تضع العالم امام حقيقة مذهلة، هي ان الحروب لم تعد مسبوقة بما يؤكد حصولها، وانها لم تعد كما جرت العادة بين جيشين، بل ان حفنة من الرجال لا يتجاوز عددهم فصيل مشاة واحد سيقلبون الطاولة على صناع الامن القومي لأقوى قوة في العالم لتنهار ابراج مانهاتن عصب الاقتصاد العالمي على يد تسعة عشر شخص ممن لا تزيد اعمارهم على الثلاثين عاماً، لتبدأ مرحلة جديدة، وليشهد العالم سقوط عاصمتين في الشرق الاوسط الأولى بقيت عصية على من هاجمها لمئات السنين: (كابول) المحاطة بالطبيعة الجبلية المانعة للاقتحام السريع والمدافع عنها بمجاميع وجدت الموت وسيلة لتحقيق مطامحها بالحصول على مكانة مرموقة في (الجنة)، وبغداد التي عمل بها صدام ما عمل حتى ان جند الاحتلال لم يعانوا كثيراً وهم يعبرون جسر الجمهورية متوجهين صوب ساحة الفردوس بعد ان وصلت ارادة القتال لدى الاغلب الاعم من العراقيين جيشا وشعبا الى ما دون الصفر.

هكذا كانت بداية هذا القرن الذي اعاد من جديد بعض الامل للدب الروسي ليعاود طموحه في الوصول الى مياه الخليج الدافئة، ومنح التنين الصيني قدرة اكبر في ان يكون المنافس الاول اقتصادياً في مجال تقنيات الاتصال التي تعادل قطعة صغيرة منها لا تتجاوز تكلفة المواد الأولية المستخدمة في تصنيعها ثمن وجبة عشاء سريعة لتباع بسعر يتجاوز قيمة 10 - 20 برميل نفط. وهكذا بات العالم حتى اقتصادياً مختلفا تماماً عن القرن الذي سبقه، حيث تسيد النفط والغاز اقتصاديات العالم، وثم دفعت الاوساط التي اعتاشت على تجارة الموت و تصنيع الاسلحة بذات الشراذم التي اختلقتها في كهوف (بارا بارا) ووديان قندهار ومتاهات ابيارة وطويلة لتعيد تدويرهم كقوة ذات ملامح جديدة البستها ثياب ومعدات حروب الجيل الرابع، ولتزج بها في حرب ضروس شهدها العالم باسره وهي حرب مكافحة الارهاب،

لتتصاعد مجدداً مبيعات الاسلحة الى اقصاها ولتتنفس اقتصاديات العالم الحر، وامريكا بالذات، الصعداء وهي تدفع بملايين من قطع الاسلحة والمعدات، وتتلقى المليارات من الدولارات في بنوكها كثمن لمحاربة الارهاب.

الا ان حرباً مثل هذه لا يمكن ان تستمر الى ما لا نهاية، وعليه لا بد من البحث عن ما هو جديد ليتناسب وطبيعة حروب الجيل الخامس حيث لا مواجهات عسكرية بين الجيوش، الا ان طبول الحرب ما انفكت تتصاعد في كل مكان. ففي الربع الاخير من عام 2019 برزت كورونا (بتاجها) ممنوحة شهادة ولادة تحت مسمى طبي (كوفيد 19)، لكن من هو الاب الشرعي لها؟ ومن اراد لها ان تكون على هذه القدرة من التمرد والتوسع والانتشار؟ وكيف لفايروس من عائلة سبق لأفرادها ان غزوا العالم لمرات عديدة دون ان يكونوا بهذه القوة ويوقفوا حركة الاقتصاد العالمي ويجبر المليارات من البشر على المكوث في منازلهم وهم يطالعون مبتكر القرن الحادي والعشرين الاكثر رواجاً (الهاتف النقال) الذي ارعبهم هو الاخر بقدرته الفائقة على نقل كل ما هو مرعب و مخيف حول هذا الفايروس؟ من هنا نجد ان ما يحصل هو حرب من نمط جديد اطرافها المعلنة وغير المعلنة لا تزال تعاني بسبب تداخل الخنادق وضبابية الموقف، لذلك فأن محاولتنا هذه ما هي الا مجازفة في سبر اغوار ما يحصل من وجهة نظر عسكرية قد لا تكون موفقة تماماً، الا انها وفي كل الاحوال محاولة بدائية للبحث في ما حصل ويحصل.

إشكالية البحث:

عانى العالم باسره خلال الأشهر الاربعة الماضية من تفشي جانحة كورونا والتي تجاوزت حدود المعقول في انتشارها ومن هنا فان الإشكالية تتمثل في تحديد معالم هذا الوباء، وهل يمكن ان يندرج بشكل او باخر ضمن ما يسمى الحروب البايولوجية؟ ام انه لا يتعدى كونه وباء استشرى بسبب سوء المعالجات على المستوى الدولي المصحوبة بالاتهامات ونظرية المؤامرة.

أهمية البحث:

تتأتى أهمية مثل هكذا بحوث يجرى طرحها اثناء الازمات او خلال الحدث بانها اكثر قربا للتوثيق حيث ان مجريات الاحداث لاتزال قائمة، وبذلك تكون اقرب الى الواقع المعاش من باقي الدراسات والبحوث التي تكتب لاحقا.

فرضية البحث:

تتلخص في افتراض هل ان هذه الجانحة مجرد انتشار لفيروس لم تستطع الجهات

الطبية والصحية السيطرة عليه؟ ام انه جزء من حرب غير معلنة بين قوى لها مصالحها في تصعيد مثل هذه الازمات؟

محاور البحث:

جرى التطرق اثناء البحث في مفهوم الحروب البايولوجية وتاريخ تطورها ودوافع الانتشار والاوبئة وعلاقتها بالحروب مع بيان الأسباب المعلنة لانتشار الوباء وتوضيح المفاهيم التي جرى تداولها ابان انتشار الجانحة واثارها الاجتماعية ومدى مشاركة الجيوش في مكافحتها او الحد منها واستعراض طبيعة العلاقة بين القوة الناعمة الامريكية والازمة القائمة، وأخيرا شكل الحروب بعد الجانحة ومدى تأثر الجيوش بها.

مفهوم الحرب البيولوجية:

تعرف الحرب البيولوجية وفق المفهوم العسكري الوارد في الموسوعة العسكرية بانها (الاستخدام العسكري المعتمد للكائنات الحية وسمومها لقتل الانسان او إنزال الخسائر به، او بممتلكاته من ثورة حيوانية او زراعية بغية اضعاف مقدرته على شن الحرب). ويطلق على هذا النوع من الحروب مصطلح الحرب البكتيرية او الحرب الجرثومية الا ان لفظ (البيولوجية) هو المفضل بسبب شموله للبكتيريا وغيرها من انواع الكائنات الدقيقة[1].

(1) مجموعة باحثين، الموسوعة العسكرية، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1988، ص588.

والحرب البيولوجية هي نوع من انواع الحروب التي تشنها الطبيعة ضد الانسان منذ القدم وغالباً ما حسم وباء او مرض نتيجة للعديد من الحروب والمنازعات. ان السلالات سواء البكتيريا او الميكروبات او الفايروسات او الجراثيم تشكل خطراً داهماً على الانسان كونها تهدد حياة البشر ومصادر غذائه الا ان خطورتها الاكبر تكمن في قدرتها على الانتشار السريع ونشر الامراض المعدية، فهي ذات قدرة عالية على الانتقال من شخص الى اخر بشكل غير مرئي وسريع مما يؤدي الى تفاقم الاصابات وفق متوالية عددية متصاعدة لا تتوقف عند حد معين مما يؤدي في الغالب الى موت او اصابة الملايين يرافق ذلك ايقاف شبه تام للحياة والاقتصاد.

المادة الاولى من اتفاقية حظر الاسلحة البيولوجية عرفت الاسلحة البيولوجية بانها (ان العوامل البيولوجية هي عوامل حية تتكاثر من تلقاء نفسها كالبكتيريا او انها قادرة على التكاثر في خلية مضيفة (كالفايروس)، او هي عوامل غير حية بعضها قادر على التكاثر لأنه من مفرزات الاجسام الحية (مبيدات- سموم والبعض الاخر غير قادر ايضاً على التكاثر الا اننا نحصل عليها بطرق الاصطناع الكيميائي)[2].

(2) المادة الأولى من اتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية الصادرة عام 1972 من المنظمة الدولية للأمم المتحدة في نيويورك.

واستكمالاً لمفهوم الحرب البيولوجية لا بد من معرفة مبسطة لخواص ومميزات الاسلحة المستخدمة في مثل هذه الحروب والمتمثلة بما يلي[3]:

1 - لا ترى بالعين المجردة وحتى ان الاجهزة الحديثة للكشف والتكبير تجد صعوبة في تحديد شكلها النهائي.

2 - قدرة عالية للتأثير على المعطيات الحياتية للبشر والحيوان وفي احيان كثيرة حتى على النباتات.

3 - قدرتها الهائلة على الانقسام والتشظي مع احتفاظها بذات الصفات.

4 - قابلية على تطوير قدرتها من خلال طفرات وراثية يمكن احداثها بالمختبرات.

5 - سهولة النقل ويمكن ايصالها الى الاماكن المطلوبة كأهداف بوسائط إطلاق مختلفة.

(3) مصطفى زينهم عاشور، الميكروبات والحرب الجرثومية، منشأة المعارف، القاهرة، ط12005 ص11.

هنالك حقائق اساسية معروفة، ان واحـداً بالمليون من الجرام من الجراثيم والفايروسات والتي تدخل في جرعة استنشاقية تكون جرعة مميتة للبشر، وبذلك فأن كيلو غرام واحد منها يكون له القدرة على قتل مئات الالاف من البشر القاطنين بالمناطق المبنية ذات الكثافة السكانية العالية. ومقدار الخسائر المحتملة من جراء استخدام هذه الكمية تتوقف على عوامل متعددة منها الظروف الجوية ودرجات الحرارة وسرعة الرياح واتجاهها اضافة الى دقة وسائل الاطلاق والايصال. وهنالك اساليب كثيرة يجري اتباعها ميدانياً لغرض نشر هذه الاسلحة قد لا تكون بذات الطبيعة المعقدة لباقي الاسلحة، وقد وجد ان الرذاذ هو الطريقة المثلى للانتشار يضاف الى ذلك استخدام الطرق التقنية البسيطة مثل الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض او الطائرات الزراعية المخصصة لرش المبيدات على المزروعات او عربات النقل المزودة بخزانات ويضاف اليها وسائل رش كتلك المستخدمة في رش المبيدات على المياه الاسنة او لمكافحة الحشرات في المناطق المبنية، ومن مميزات هذه الوسائل ان بالإمكان اخفاءها الى وقت استخدامها المباشر، او ان تستخدم بطرق واساليب بعيدة عن اثارة الانتباه[4].

ان واحداً بالمليون من الجرام من الجراثيم والفايروسات والتي تدخل في جرعة استنشاقية تكون جرعة مميتة للبشر

(4) نفس المصدر أعلاه، ص12

اما في مجال مكافحة الارهاب فأن الاسلحة البيولوجية تعتبر من اكبر المخاطر التي قد تتعرض لها البشرية هو امتلاك التنظيمات الارهابية لوسائل اكثار هذه الاسلحة في مختبرات لا يمكن الكشف عنها، خاصة وان الخبرات المتراكمة لتصنيع هذه الاسلحة متوفرة على نطاق واسع بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك اغلب

المختبرات التي كانت تعمل في هذا المجال، كما ان العراق هو الاخر يعتبر مصدراً مهما لمثل هذه الاسلحة بعد ان اصبحت كل ملفات وتجارب الاسلحة التي قام بها النظام السابق متاحة و متيسرة وان قسما من العاملين في محطات البحوث لازالوا احياء، وقد يكون البعض منهم لديه ارتباطات بالتنظيمات الارهابية القائمة في العراق. وبالعودة الى روسيا وجد ان الباحثين في معهد الابحاث الفايروسية والبكتولوجية في (كولستوفر ونوفوسيبرك) قد استخدموا ميكروبات الجدري وحمى الماربورج والحمى الفايروسية النزفية، وقد استخدمت لأغراض بحثية الغاية منها انتاج اسلحة بيولوجية، والمخاطرة الاكبر ان هذه البحوث و التجارب اصبحت مشاعة و قد نشر الكثير منها على صفحات التنظيمات الارهابية، وبالتالي اصبح بالإمكان اعادة انتاجها و استخدامها.

تاريخ تطور الحروب البيولوجية:

قبل الخوض في اهم الحروب والمعارك التي كان للأسلحة البيولوجية دور حاسم فيها لابد من العودة الى تاريخ تصاعد تأثيرات الاوبئة والامراض على البشرية ففي مراحل مختلفة من التاريخ أوصلت الأمراض المعدية الجنس البشري إلى حافة الانقراض وإيذائه بشكل خطير وغيرت مجرى التاريخ وحدث ذلك أكثر من مرة. وازداد الأمر خطورة مع تقدم الحضارة، فنمو المدن يعني تجمعات بشرية وأماكن متقاربة ومتلاصقة، وكما أن النار تنتشر في الهشيم صار المرض ينتقل بالعدوى، والأمثلة على ذلك كثيرة منها التالي[5]:

(5) يوسف عبد الله جمل الليل، أسلحة الدمار الشامل، مكتبة جبل المعرفة، الرياض، ط2، 2003، ص523.

1 - خاضت أثينا عام 421 ق. م حربا ضد اسبارطة وسيطرت اسبارطة على أرض اليونان، حينها تجمع السكان داخل أسوار أثينا، وضرب الطاعون سكان أثينا المجتمعين، وهكذا قتل (20%) منهم وخسرت أثينا الحرب في النهاية بسبب نقص تعدادها.

2 - في عام 196م ضرب مرض الامبراطورية الرومانية وهي في اوج قوتها، وصار المقاتلون على الجبهة يعانون من مرض وبائي يحتمل أنه (الجدري)، ووصل المرض إلى روما ذاتها وبدأ عدد السكان يتناقص. لقد تخاذلت الامبراطورية بسبب ذلك المرض، وتعرضت الى العديد من الهزائم في المعارك، وادى هذا الوباء في نهاية الامر الى افول نجم اثنيا كعاصمة للعالم القديم.

3 - في عام 127م ضرب (الطاعون) القسطنطينية، وأصاب الجرذان أولا، وقام الذباب بنقله إلى البشر، وظل ينتشر بين الناس قرابة سنتين فمات نصف سكان القسطنطينية.

4 - أكبر وباء حصل في تاريخ البشر حدث في القرن الرابع عشر الميلادي، وكان نوعا خاصا من الطاعون انتشر في آسيا الوسطى حتى وصل إلى البحر الأسود ثم إلى إيطاليا. كان المصاب يموت خلال ثلاثة أيام بعد ظهور اول الأعراض، وكانت تظهر بقع سوداء لذلك سمي الموت الأسود. قتل الموت الأسود ثلث سكان العالم في ذلك الوقت أي (60) مليون إنسان. ليس هناك شيء في العالم وفي التاريخ قتل نسبة كبيرة بهذا الشكل من سكان الأرض كما فعل الموت الأسود.

5 - الطاعون فتك مرة أخرى بالصليبيين عند أبواب القدس، في حين حصد مرض (التيفوس) غالبية المقاتلين المغاربة في الجيش الاسباني، كما أضعف (الزحار) صفوف جيش نابليون في زحفه على موسكو فخلال تراجع نابليون من موسكو قتل من الجنود الفرنسيين- وبسبب (التيفوس)- اكثر مما قتل الروس منهم، ومن بين الاربعمائة وخمسين الف جندي فرنسي عبروا نهر (نيمان) في 25 حزيران 1812م باتجاه موسكو عاد منهم 40 الف جندي فقط في ما عرف بمعركة كراسني. وقد قتل التيفوئيد من الجنود بين 1500 - 1914 اكثر بكثير مما قتل منهم الحروب، في حين تعترف البحرية الملكية البريطانية في مدوناتها التاريخية انه خلال حرب السبع سنوات تم تجنيد 184،899 بحاراً بريطانيا توفي منهم بسبب الامراض 133،708 بحاراً،[6] وفي حرب البوير صرعت (حمى التيفوئيد) من الجنود أكثر مما فعل الرصاص.

(6) مايكل لي لا فغ، معارك مؤثرة في التاريخ، دار سطور، بغداد، ط1 2020 ص15

6 - أخطر وباء بعد الموت الأسود كان موجة الانفلونزا الإسبانية التي ضربت العالم عام 1918م فقتلت (30) مليون إنسان في عام واحد في حين ان خسائر الحرب العالمية الأولى التي استمرت أربع سنوات والتي وضعت اوزارها قبل انتشار هذا الوباء قتل فيها (8) ملايين إنسان.

اما من حيث الاستخدامات الاولى للعوامل والاسلحة البيولوجية بالحروب فأن الانسان وفي بداية العصور الحديثة (عصر التمدن) تعلم من الطبيعة وما حوله من الظواهر اساليب وطرق عن كيفية استخدام الكائنات الحية او الميتة او سمومها. ولعل من أقدم الأمثلة على الاستخدام المتعمد للعوامل البيولوجية في الحروب هو قيام حاكم أثينا في عام 600 ق. م برمي جذور نبات اسمه (هيليبوروس) في نهر صغير كان يستعمله أعداؤه للشرب، فكانت النتيجة اصابتهم بنوبة حادة من الإسهال أدت إلى هزيمتهم. واستقدم هانيبال خوابي (حاويات فخارية) مملوءة بالثعابين وألقاها على ظهور سفن أعدائه مما أدى إلى ذعر وارتباك البحارة وبالتالي هزيمتهم.

ومنذ ذلك الحين أصبح تسميم مياه الشرب والمأكولات من الأمور الشائعة في الحروب، وكانت الطريقة المتبعة هي إلقاء جثث الحيوانات والجنود المتفسخة في الآبار التي يشرب منها الأعداء[7].

(7) يوسف عبد القادر جمل الليل، نفس المصدر السابق ص525

وفي تاريخ الفتوحات الاسلامية نجد امثلة كثيرة على استخدام السلاح البيولوجي ولكن بصورة بدائية ومحدودة، الا ان واقعة فتح مدينة باب الابواب (دربندت في طاجاكستان) سنة 89 هجرية (716) ميلادية، وهي من امنع الحصون في بلاد ارمينيا سابقا حيث حاصر القائد الاموي (مسلمة بن عبد الملك) المدينة وطلب من رجاله وبمشورة من احد قادته البحث عن مصادر المياه التي تزود المدينة وتبين انها عبارة عن عين ماء تقع خارج الحصن وامر بذبح البقر والغنم في عين الماء حتى سال الدم في العين ووصل الى صهريج المدينة مما ادى الى فساد الماء الذي تسبب لاحقاً في تراجع معنويات المدافعين عن المدينة وحصنها المنيع وهذا الامر تسبب في سقوطها لاحقاً[8].

(8) البلاذري، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت 1983، ص323

في الحروب الحديثة نادراً ما جرى استخدام الاسلحة البيولوجية الا ان الحرب العالمية الثانية كانت تنذر باستخدامها حيث صرح الروس حينها في عام 1939 انهم على استعداد لاستخدام الاسلحة البيولوجية في حالة قيام النازيين باستخدامها ضدهم اذا ما نشبت الحرب بين الطرفين، ورغم ذلك فليس هنالك من مؤشرات علمية ملموسة على تأكيد قيام اي الاطراف المتحاربة في الحرب المذكورة باستخدام الاسلحة البيولوجية رغم ان كل الأطراف المتحاربة (الحلفاء و دول المحور) كانت قد اعدت ترسانة من الأسلحة البايولوجية الهجومية مع اتخاذ استعدادات دفاعية للحد من تأثيرها، وكانت تلك الأسلحة بمثابة أسلحة ردع اكثر مما هي أسلحة استخدام ميداني، الا ان نهاية الحرب شهدت حصول بعض المؤشرات عن نية الالمان الذين بدوءا يشعرون بخسارة الحرب باستخدام تلك الاسلحة خاصة تجاه القوات المندفعة تجاه عاصمتهم برلين، لذلك نجد ان الامريكان حينها ارسلوا اعداداً كبيرة من العناصر الطبية مع لقاحات مضادة لجنودهم.

أما الحرب الكورية 1950 - 1953 فكانت بمثابة ميدان لاستخدام هذه الاسلحة، فقد اتهم الامريكان الصينيين المساندين لكوريا الشمالية (الشطر الشمالي الشيوعي) باستخدام اسلحة بيولوجية، ودعيت حينها لجنة دولية للتحقيق وتقدمت بتقرير الى الامم المتحدة تضمن مزيجاً من الملاحظات عن اشياء وتجهيزات ومعدات ملوثة بجراثيم وفايروسات خاصة بأمراض الكوليرا والجمرة الخبيثة، وكذلك على براغيث

حاملة لجراثيم الطاعون وبعوض يحمل فايروس الحمى الصفراء وحيوانات منزلية تم استخدامها لنشر الاوبئة والامراض[9].

(9) كيف تعمل الحروب البيولوجية والكيمياوية، تقرير عن موقع العربية منشور يوم 20 اذار 2020

وخلال حرب فيتنام استخدم الجيش الامريكي الاسلحة الجرثومية ضد قوات الفيتكونغ والقرى والبلدات الفيتنامية الشمالية، وقد اشيع حينها ان تلك القوات استخدمت ما أطلق عليه المطر الاصفر ويحتمل ان يكون مواد كيمياوية لها القدرة على انتزاع اوراق الاشجار لتعريتها لكي لا يستطيع المقاتلون الفيتناميون من الاختباء في المناطق المشجرة التي تتميز بها الاراضي الفيتنامية. في حين حاول الامريكان بعد استلام الحزب الشيوعي للحكم في كوبا برئاسة فيدل كاسترو ان يستخدموا وسائل بايولوجية لتدمير محصول قصب السكر الذي يعتبر عماد الاقتصاد الكوبي خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي. وفي ذات الوقت وقع أكبر حادث استنشاق بشري لجرثومة الجمرة الخبيثة عام 1979 في المركز البيولوجي في مدينة سفيردلوفيسك الروسي حيث أطلقت جرثومة الجمرة الخبيثة بطريق الخطأ ادت الى اصابة 79 منهم توفي منهم 68 شخصاً[10].

خلال حرب فيتنام استخدم الجيش الامريكي الاسلحة الجرثومية ضد قوات الفيتكونغ

(10) ايمن النحراوي، مدخل الى الحرب البيولوجية، جريدة الشرق المصرية، 23 مارس 2020.

دوافع الحد من الاستخدام الواسع للأسلحة البيولوجية في الحروب الحديثة:

هنالك الكثير من الدوافع التي حدت بدول العالم مبكراً للتفكير بالحد من استخدام مثل هذه الاسلحة، خاصة وان استخدام الاسلحة الكيماوية في الحرب العالمية الثانية وما تركته تلك الاسلحة من تأثيرات مدمرة، فقد تبين وبشكل واضح ان قتل الناس بالشظايا المتطايرة من القذائف او الاطلاقات المصوبة من الاسلحة المختلفة تختلف كثيراً عن عملية القتل الجماعي الذي تسببه سحابة من مواد كيمياوية قاتلة او بكتيريا او فايروس و التي لا يمكن التنبؤ بأثارها والسيطرة عليها، ومن هنا بدأت اول محاولة اممية لمنع هذا النوع من الاسلحة بتوقيع بروتوكول 1925 الخاص بحظر الاستعمال الحربي للأسلحة التي تنبعث منها غازات خانقة او سامة او غيرها او وسائل بكترولوجية، وقد وقعت اغلب دول العالم حينها على ذلك البروتوكول[11].

(11) يوسف عبد الله جمل، مصدر سابق ص 532

ورغم ذلك فأن الأسلحة البيولوجية ورغم ندرة استخدامها وتعذر معرفة فعاليتها كسلاح من أسلحة الحروب الحديثة بشكل دقيق إضافة الى ان القدرة على تقييم إمكانيات استخدامها التعبوي والعملياتي والسوقي ضئيلة جداً، ولكن لا ينبغي ان

تقود هذه الحقيقة الى التقليل من خطر الحروب البيولوجية مستقبلا وذلك للأسباب الاتية:

1 - ان جميع الدول بالوقت الحاضر تقريباً قادرة على امتلاك الأسلحة البيولوجية لسهولة تحضيرها وقلة كلفتها وسرعة انتاجها وعدم حاجتها الى مختبرات معقدة.

2 - ان الأبحاث العلمية في هذا المجال أدت الى تحضير فايروسات وجراثيم لا تتأثر بالمضادات الحيوية وتمكنت من انجاز واستحداث وتصنيع وسائل متطورة لنشرها.

3 - ان الأسلحة البيولوجية تعتمد على نظام المباغتة والاستخدام الخفي ضد مجموعات كبيرة من السكان ويزيد من تلك الأهمية صعوبة كشفها وسرعة ارسالها لمناطق أخرى بسبب طول الفترة بين استخدام السلاح وظهور اعراضه.

الأوبئة والحروب:

كما هو معروف فأن الاوبئة مثلها مثل خبرة الحروب بالنسبة للمجتمعات حيث تشهد تلك المجتمعات تغيرات جذرية في نمط حياتها اليومية، وفي حالات كثيرة تتبدل ملامح الحياة، وغالبا ما تنتهي تجارب تلك الشعوب مع الاوبئة او الحروب بخلق معان وقيم وافكار وانماط مختلفة للحياة الانسانية،[12] لذلك نجد ان هنالك نوعاً من التوافق بين الحروب والاوبئة كونهما يشكلان دافعاً قوياً وحاسماً لتغيير أنماط الحياة السائدة، وقد مرت البشرية خلال 5000 سنة من عمرها بالكثير من الأوبئة والامراض الفتاكة، الا ان ما يثير الجدل هو تلك الاوبئة المرافقة للحروب والتي كانت اكثر فتكاً وخطراً على الشعوب التي عاشت فيها. في حين ان هنالك حروب تسببت هي الاخرى بشكل مباشر او غير مباشر بانتشار الاوبئة، اما كجزء من العمليات العسكرية التي استخدمت فيها الاسلحة البيولوجية بمختلف اشكالها البدائية او المتطورة او ان تلك العمليات العسكرية تسببت بشكل او باخر بانتشار تلك الاوبئة اما نتيجة الحصار على المدن المتحاربة او نتيجة النقص الكبير في المياه او الاغذية او بسبب انعدام اي وسيلة طبية للمعالجة او بسبب الاصابات التي يندر ايجاد علاج لها و التي تتحول الى شكل من اشكال الأمراض المعدية و خاصة الجلدية منها.

(12) هالة الحفناوي، سيكولوجيا الأوبئة ماذا يحدث للمجتمعات عند تعرضها لوباء مفاجئ، مركز المستقبل للدراسات والبحوث، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، 2020. ص 7.

إن الاوبئة مثلها مثل خبرة الحروب بالنسبة للمجتمعات حيث تشهد تلك المجتمعات تغيرات جذرية في نمط حياتها اليومية

في الاوبئة كما في الحروب ونتيجة تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة تشهد

المجتمعات فترات من الترقب والخوف الجماعي، كما تحدث ثورة من التفسيرات المرتبطة بأسباب هذه المعاناة الجماعية جراء الوباء كما هو الحال في التفسيرات التي تحاول اعطاء ايحاءات بأن هذه الحرب لن تنتهي الا بكارثة اكبر مما هو متوقع، هذا الامر غالباً ما يولد او يتسبب بجملة من التناقضات القيمية وزخم من السلوكيات والاستراتيجيات ومحاولات بائسة لمواجهة الوباء، خاصة وأن الأوبئة بطبيعتها تعد امراضاً جديدة لا تشابه سابقاتها من حيث طبيعة الانتشار والاخطار كما هو الحال في الحروب فهي الأخرى لا تتشابه اطلاقاَ، ومثلما هو الحال في الحروب حيث الغموض وندرة المعلومات نجد ان الأوبئة هي الأخرى غالباً ما تبدأ مبهمة حيث لا تتوفر بشأنها معلومات او توقعات بكيفية انتشارها ومكافحتها، وبالتالي لا يوجد في نهاية النفق بصيص امل او ضوء للعثور على علاج سريع لها، و كلما كان الوباء خطيراً من حيث تداعياته زادت المدة الزمنية بلا علاج واضح، وهذا الامر هو الاخر ينطبق على الحروب حيث غالباً ما تكون المساحة المتروكة للاجتهادات الفردية والاجتماعية أوسع في حالة إطالة امد الحرب اكثر مما هو متوقع، كما ان التمسك باي امل للخلاص يكون هو المسيطر والمهيمن على التفكير الجمعي حتى وان كان ذلك يتمثل في ممارسات او إجراءات او اعتقادات غير مطابقة للمنطق.

في الاوبئة كما في الحروب ونتيجة تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة تشهد المجتمعات فترات من الترقب والخوف الجماعي

اوبئة القرن الحادي والعشرين:

بقدر تعلق الامر بطبيعة الأوبئة التي انتشرت او وجدت لها مساحة للانتشار في العقدين الاخرين من القرن الحادي والعشرين، فان هنالك العديد منها تبوء ولفترة ليست بالقصيرة اهتمام العالم، واذا ما جرت مراجعة علمية لحالات الإنذار المعلنة من منظمة الصحة العالمية منذ بداية هذا القرن نجد انه ومنذ عام 2009 تم الإعلان عن حالات الطواري الوبائي لخمسة مرات وهي:

1 - جانحة انفلونزا الخنازير عام 2009.

2 - باء شلل الأطفال عام 2014.

3 - ايبولا في غرب افريقيا عام 2014.

4 - انتشار فايروس زيكا عام 2015.

5 - ومن ثم ايبولا مجددا في الكونغو الديمقراطية عام 2019.

في حين رصد خبراء منظمة الصحة العالمية حدوث 1483 انتشارا وبائيا في 172

دولة بين عامي 2011 – 2019، واعتبرت المنظمة هذا التصاعد في مؤشرات الأوبئة بانه انذار لعقد جديد من استفحال وبائي غير مسبوق، كما انها حذرت من ان تلك الأوبئة ستكون ذات قدرة عالية على الانتشار، وانها من الأوبئة الشديدة التأثير. كما انها أعلنت وفق ما ورد في موقعها الرسمي ان التهديد يتعلق بالدرجة الأساس بمسببات فايروسية تداهم الجهاز التنفسي حصرا، وان كارثة بايولوجية عالمية يمكن ان تتسبب في وفاة 50 الى 80 مليون شخص، وانها في ذات الوقت ذات تأثيرات اقتصادية على جميع البلدان وبلا استثناء، حيث توقعت المنظمة ان يخسر الاقتصاد العالمي ما نسبته 5 بالمئة من قدراته القائمة.

الأسباب المعلنة لانتشار وباء كورونا:

لخص علماء يعملون في منظمة بحثية (ايكوهيلث لاينس) وهي مجموعة بحثية غير ربحية، الى ان الوباء كان نتيجة تأثير غير مباشرة لحالات انتقال فايروس حيواني الى الانسان، فقد جمع (كيفن اوليفيال) عالم امراض البيئة وزملائه الالاف العينيات من الخفافيش الصينية، وأوضح قائلا وجدنا الدليل في جميع العينات التي جمعناها في الصين ومن سلالات فايروسات كورونا مختلفة تصل الى 400 سلالة، وقد لاحظ الفريق البحثي ان الغالبية من هذه السلالات تستطيع الخفافيش حملها، وخاصة ذات الخطورة العالية والقابلة للانتشار السريع عالميا. في حين توصل فريق بحثي اخر هو فريق الاستطلاع الميداني الصيني (هونغيغ لي) إلى ان الخفافيش تكاد ان تكون موجودة في البيئة التي تعيشها اغلب المجتمعات الصينية، وخاصة في مقاطعة ووهان. فهناك العديد من وسائل التواصل بين البشر وتلك الخفافيش وذلك من خلال لمسها او لمس لعابها، او انها- أي الخفافيش- تعيش في المنازل كأي طائر، او جرى قتلها وملامسة جثتها. وقد جرى تعاون علمي بين الطرفين أعلاه وتوصلوا كنتيجة نهائية الى ان هنالك تقارب جيني كبير بين التركيب الجيني لفايروس كورونا المتجدد وبين الفايروسات التي تحملها تلك الخفافيش وبنسبة تصل من حيث التطابق الى 96 بالمئة.

يضاف الى ذلك فان الصين قد اعلنت عن ارسال كبيرة الخبراء بالحرب البايولوجية في جيش التحرير الشعبي الصيني (الميجر جنرال تشين وي) الى مدينة ووهان- بؤرة انتشار الفايروس الأولى- بداية شباط 2020 للمساعدة في الجهود المبذولة لاحتواء تفشي المرض، حيث كانت (تشين) تبحث في فايروسات كورونا منذ تفشي وباء السارس عام 2003 وايبولا والجمرة الخبيثة، ولم تكن هذه رحلتها الأولى الى معهد ووهان المتخصص في علوم الفايروسات كونه يعتبر من اكثر معاهد البحوث

البايولوجية تطورا في الصين. ويذكر ان فايروس السارس القاتل وكذلك فايروس كورونا قد تسرب مرتين الى خارج مختبر أبحاث بايولوجية اخر في بكين، وسرعان ما تم احتواء هذا التسرب بسرعة، وكلا الفايروسين هما من صنع الانسان، وهذا المؤشر قد يدل على ان تسرباً اخر قد جرى دون الإعلان عنه، او انه قد اعلن عنه ولكن بعد فوات الأوان دون الإعلان عن حقيقة ما حصل.

حرب الكل ضد الكل ونظرية المؤامرة:

اطلق توماس هوبز (1588-1679) عبارته الشهيرة في كتابه الأكثر شهرة (اليفياثان)، والتي نصها (حرب الكل ضد الكل) دون ان يكون لدينا تصور ونحن نطالعها بانها ستكون حقيقة واقعة، وهذا ما اكدته ايام انتشار جائحة كورونا (المسماة طبيا وعلميا كوفيد 19). فنلاحظ ان المواطن حتى في الدول المتقدمة ذات الانظمة الصحية المتطورة لم يعد يثق بتلك الانظمة، فالانتقادات الواسعة النطاق التي شهدتها الولايات المتحدة وبريطانيا وايطاليا واسبانيا وغيرها من الدول وصلت الى حد الاتهام بالتقصير والتعمد من قبل اجهزة تلك الدول في تفشي الوباء نتيجة عدم اتخاذها اجراءات مبكرة وحاسمة لوقف انتقال المرض. ويرتبط هذا أيضا بتصاعد شعور الشك من كل شيء حول الفرد، والشك في الاخر الذي كان حتى وقت قريب من المقربين اليه كونه قد يكون مصدراً للوباء، او الشك الناجم او المرتبط بظهور العديد من الإشاعات التي تتخذ شكل العمليات النفسية اثناء الحرب، وهذا ما حاولت الولايات المتحدة الامريكية فعله تجاه ايران حينما اتهمت الحكومة الايرانية بالمساهمة في نشر المرض، وكذلك تجاه الصين التي أتهمتها بالضعف والتقصير الذي تسبب في موت مئات الالاف من البشر، وهو ما صرح به (ترامب) في 20 مايس 2020، الا انها لاحقاً اصبحت هي الدولة الأكثر اتهاماً بتسببها في تفشي المرض وانتشاره بسرعة مذهلة بعد ان قارب رقم الاصابات حتى يوم 25 مايس 2020 من المليون وسبعمائة الف إصابة، في حين نكست اعلام الولايات المتحدة الامريكية لثلاثة أيام ابتداء من يوم 23 مايس بعد ان تجاوزت أعاد الوفيات فيها (المئة الف)، هذا الامر ولد عائقاً امام التفاعلات الاجتماعية، وأضعف الى حد كبير اواصر هذه العلاقة بل اوصلها الى حد العداء المبطن بين الجماعات والافراد والدول، ومن هنا فانه يمكن ان يوصف ما يحصل نظرياً وفق ما ذهب اليه (هوبز) بـ (حرب الكل ضد الكل)، وهذا الامر او هذه الفكرة لم يأت بها توماس هوبز من فراغ بل هي نتيجة عملية لمعايشته الحرب الاهلية الإنكليزية التي امتدت لسبع

ان المواطن حتى في الدول المتقدمة ذات الانظمة الصحية المتطورة لم يعد يثق بتلك الانظمة

سنوات (1642– 1651م)، والتي اطلق عليها تسمية (حرب السبع سنوات) وهو ما دفعه للتركيز على ان قيمة الامن لأي دولة لا تأتي الا من خلال الخضوع لسلطة قوية غير مقسمة قادرة على التعامل مع الازمات والحروب ومتمكنة من توظيف قدرات الشعب والوطن لمواجهة مثل هذه الاخطار.

وتاريخيا فان خير مثال على ذلك هو ما حصل في فرنسا حينما انتشر وباء الكوليرا إذ ظهرت في فرنسا نظرية المؤامرة التي مفادها أن الوباء معد من صنع الانسان. وقد انتشرت حينها شائعة تفيد بأن حكومة الملك لويس فيليب تضع مادة الزرنيخ في آبار المياه، ومع انتشار الوباء وموت حوالي 19 ألف فرنسي اندلعت موجة عنف ضد الحكومة من قبل الشعب، وبالكاد استطاعت الشرطة التصدي لها؛ إلا أن الحراك والغضب الشعبي لم ينقض، وظلت الحكومة متوجسة مما أسمتها حينها «الطبقات الخطرة»، وهي الطبقات الفقيرة التي تأثرت بصورة كبيرة بما حدث، وثارت ضد الحكومة، وهو ما قد يفسر من قبل المؤرخين على ان أحداث «القمع الطبقي» و(حرب الكل ضد الكل) التي شهدتها العاصمة الفرنسية بعد هذا الوباء بسنوات قليلة، وهو ما جاء معاكسا لحراك الثورة الفرنسية، فعادة ما يصاحب الأوبئة وقلة المعلومات عنها، موجة من الشائعات التي يطلقها البعض وينجرف خلفها ملايين لديهم الاستعداد الكامل لتلقي أي شائعة لتفسير ما يحدث حولها. وتعد هذه الفترات البيئة الخصبة لصعود نظرية المؤامرة، ليس فقط بين الشعوب وبعضها، بل أيضا بين الدول. ولعل الاتهامات المتبادلة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية والتي ما انفكت تتصاعد يوما بعد اخر خير دليل على ذلك.

ان العالم في ظل كورونا هو عالم اللا يقين

في عصر تسيد فيه الفضاء السبراني وبات الانترنيت بحزمه الفائقة السرعة ومنافذ التواصل الاجتماعي غير المقيدة هو المجال الارحب لسيل جارف ومتدفق وبلا انقطاع من معلومات مضللة وخاطئة بشان حقيقة انتشار الفايروس الى الحد الذي تشبعت به البشرية جمعاء بحالة من الرعب ومشاعر الخوف والقلق العميق، وبالتأكيد لم تخل تلك المعلومات من التأكيد على ان ما يحصل هو بسبب وجود مختبرات سرية غايتها نشر الفايروس كسبيل للإطاحة باقتصاديات الدول الأخرى، او انه ليس اكثر من مؤامرة حكومية وصلت الى حد التآمر العالمي تجاه الشعوب من قبل قاداتهم، منحى اخر اتخذ من التنافس الجيو سياسي والاقتصادي بين الصين وامريكا مبررا لخلق هذا الفايروس ونشره. والقسم الاخر كان اكثر تطرفا متهما ايران بانها هي وراء نشر هذا الفايروس. وهكذا نجد ان العالم في ظل كورونا هو عالم

اللا يقين، فليس هنالك وحتى منتصف مايس 2020 أي بعد اكثر من 100 يوم على انتشار الفايروس ما يثبت تورط جهة بذاتها في نشر هذا الفايروس او المساعدة في نشره.

هذه الفوضى العارمة ضربت اطنابها كل الكيانات القائمة عالميا، وسادت حالة من الذعر الجمعي في الترويج للمعلومات المثيرة للرعب والقلق، وهنا نشير الى ما قاله احد المختصين بعلوم الشبكات والمعلوماتية (صموئيل سكار بينو)- أستاذ إدارة الاعمال وعلوم الشبكات في كلية العلوم جامعة (نورث ايسترن)- حيث يقول: «العلاقة بين العدوى الاجتماعية والعدوى البايولوجية الحقيقية هي سمة من سمات التفشي الحديث بسبب تردد المعلومات الخاطئة والاخبار المزيفة».

وفي ذات الاطار نجد ان الحرب الناعمة لم تقتصر على الصين وامريكا بل تجاوزت ذلك الى روسيا ذلك القطب الذي يريد ان يعيد امجاده وسط الخراب الحاصل في البنية الاقتصادية لأكبر اقتصاد عالمي، حيث ان هنالك سرديتين رائجتين في ارجاء العالم: الأولى تقول بان الصين من صنعت كورونا والثانية تدعي ان أمريكا من بدأت بالعمل على تفشي الوباء عالميا. يقابل ذلك تصريح لوزير الخارجية الأمريكي يراد به ادخال الروس في المعادلة بعد ان ادرك الامريكان ان الروس عازمون وبقوة على العودة للاغتراف من مياه الخليج الدافئة اجلا ام عاجلا، حيث يقول: «ان المسؤولين الروس الخبثاء يحاولون بث معلومات مزيفة ومضللة عن فايروس كورونا».

وفي هذا المجال جرى التركيز على ان هذا الفايروس يشكل واحداً من الاسرار التي يصعب الكشف عنها، بل ان هنالك من ذهب بعيدا واعتبر ان الفايروس ما هو إلا نتاج لمختبرات حرب بايولوجية حول العالم تشترك فيها العديد من الجهات، في حين حاول فريق اخر ان يمنح الفايروس او الوباء هوية اثنية او عرقية، لذلك نجد ان غالبية النشرات الإخبارية الطبية كانت تتحدث وخاصة في نهاية شباط وشهر أذار وحتى شهر نيسان عن فايروس صيني، وهذا الامر قد يكون مقبولا على اعتبار ان الإبلاغ الأولي عن وجود الفايروس كان قد جرى في 31 كانون الأول 2019 في مدينة ووهان الصينية حينما تحدثت ممثلية الصحة العالمية هناك عن ان فايروس يصيب الجهاز الرئوي ويتسبب في نوع من الالتهابات قد بدا بالظهور في هذه المدينة، لابل ان هناك من ادخل سوق المأكولات البحرية في ووهان كطرف متهم في نشر هذا الفايروس، والمعروف عن هذا السوق انه المكان الأكثر غرابة في طبيعة الأطعمة المقدمة فيه، فهناك وجبات طعام من الطيور والارانب والثعابين

والخفافيش والفئران والكلاب والقطط وحيوانات أخرى يندر ان تكون جزء من المنظومة الغذائية في باقي البلدان، وبالفعل لم يتوانى الرئيس الصيني في الاعتراف علنا يوم 28 كانون الثاني 2020 اثناء لقائه مع المدير العام لمنظمة الصحة العالمية في ميدان (تيان من) في بكين، والذي يمثل رمز القوة السياسية للحزب الشيوعي الصيني، من ان هذا الفايروس هو (شيطان ولا يمكن لنا ان نترك الشيطان يختبئ). ولم يمض اكثر من اربعين يوما واذا بالصين تعلن للعالم ان عدد الإصابات فيها وصلت يوم 11 اذار 2020 الى (81032) وان الوفيات تجاوزت (3204).

الازمات والقوى المحركة لها في القرن الحادي والعشرين:

تعد لحظة وقوع الازمات والكوارث ذاتها، وبمختلف مستوياتها وانماطها واسبابها ومسمياتها وكيفية ادارتها والتعامل معها، موضوعاً يجري التركيز عليه من قبل طائفة كبيرة من الباحثين والمتخصصين بشأن ادارة الازمات او ادارة المخاطر، وبهذا الصدد تبرز الى الوجود الكثير من المفاهيم الجديدة وغير المتداولة، او تلك التي من العسير في مراحل سابقة فهمها من قبل غير المختصين. لذلك نجد، ومع بروز ازمة الفايروس الحالية، حتى طفت الى السطح الكثير من المفاهيم منها (مرونة ادارة المخاطر، الارتداد للوضع الطبيعي، سياسة الاوبئة، ارتداد العولمة، مجتمع المخاطر العالمي، تصاعد الانفاق، اقتصاديات ما بعد كورونا، رأسمالية الكوارث، عقيدة الصدمة، مناعة القطيع واستراتيجية العلاج بالصدمة)، وغيرها من المفاهيم المرتبطة بالتطورات المفاجئة التي احدثها الانتشار والتمدد السريع للفايروس وما نجم عنه من تطورات مفاجئة وغير متوقعة في ميادين منها العلاقات الدولية والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والجوانب الروحية والعبادات ودورها، وحتى المجال الأكثر تأثراً بطبيعة الحال هو ما حمله الفضاء السبراني من تطورات مذهلة كبديل للحياة التقليدية التي كانت سائدة قبل حصول الازمة.

ويلاحظ في هذا الصدد أن الأزمات تعتبر «قوى محركة لتطور المعرفة، بحيث يمكن القول إن هناك ظاهرة يمكن أن يطلق عليها «أبستمولوجيا الأزمات» وهي المعرفة النظرية والتطبيقية التي تتشكل نتيجة لوقوع الأزمة واتساع نطاق تأثيراتها على الأفراد والدول والنظام الدولي والعلاقات الاجتماعية والجوانب الروحية والعبادات كنتيجة للتطورات المذهلة والمتسارعة التي شهدها العالم. ويفسر العديد من العلماء ان بنية الثورات العلمية «لا يمكن لها ان تتحفز نحو علوم ومعارف اكثر تطوراً إلا حينما تصبح النظريات العلمية السائدة عاجزة عن تفسير

أن الأزمات تعتبر «قوى محركة لتطور المعرفة، بحيث يمكن القول إن هناك ظاهرة يمكن أن يطلق عليها «أبستمولوجيا الأزمات»

ظواهر او حوادث او أزمات او اوبئة، حيث يؤدي ذلك الى حدوث انتقال المنظور الحاكم للعلوم من الحالة السائدة الى الحالة اكثر فهماً واتساعاً وتطوراً لتعزيز قدرة المتخصصين على فهم الظواهر وتفسيرها، فحينما تكون حركة العالم اسرع من قدرة العلم على الاستيعاب، فان ذلك يكون محفزاً ودافعاً كافياً للبحث والاستقصاء للوصول الى ما يعادل الحالة القائمة ويعيد الأمور الى نصابها ليس كما كانت سابقا بالتأكيد ولكن بما يطمئن الناس بان الحياة تستمر ولا يمكن لها ان تتوقف بفعل ازمة او وباء. وعليه فانه، وكنتيجة حتمية، سنجد ان الكثير من الثوابت العلمية في طريقها الى التغيير في ذات الوقت الذي باتت فيه الثوابت السياسية والاقتصادية والاجتماعية هي الأخرى في حالة من المراجعة والتجديد لتتناسب مع عصر ما بعد كورونا.

تعد الأوبئة من الخبرات الاجتماعية التي تترك تأثيرات طويلة المدى وتظل انعكاساتها لسنوات وقد تساهم في تطوير او تغيير الملامح الاجتماعية للدول خاصة مع فرض التفاعلات التي تصاحب فترة وجود الوباء، وعلى الرغم من ان الازمة الحالية التي يمر بها العالم تأتي في سياق مغاير تماماً للازمات المشابهة لها تاريخياً، حيث تلعب الحلول التقنية عاملاً حاسما في ظهور حلول مبتكرة، وتلعب وسائل التواصل الاجتماعي عاملاً مركباً اخر من نشر الوعي والشائعات وتخفيف حدة التباعد الاجتماعي الذي اجبرت غالبية البشرية على تطبيقه قسراً، الا ان ما هو مؤكد فان المرحلة القادمة سوف تشهد ظهور سلوكيات وتوجهات جديدة استجابة لما افرزته الازمة. اثناء انشار الأوبئة لا يواجه الافراد مخاطر انعدام اليقين المرتبط باحتمالات اصابته بالمرض من عدمه، بل يواجه عبئاً اثقل مرتبط بحالة كاملة غير معلومة الملامح اقرب ما تكون الى المجهول، وهو ما يتسبب في تصاعد مشاعر الخوف والقلق لدى الفرد والمجموع مقارنة بما يحصل عند الإصابة بالأمراض الأخرى سواء السارية او المعدية او المتوطنة، والتي ربما تكون اكثر خطورة على حياة الفرد مقارنة بالوباء اذا ما أصاب الفرد، وهذه الحالة لا ترتبط بالمصابين والمشكوك بإصابتهم فقط بل انها تشمل المجتمع باسره وبدرجات متفاوتة تعتمد بالأساس على مستوى الوعي الصحي والطبي، فهي حالة مرتبطة بسرعة انتشار الوباء وعدم وجود مؤشرات او قدرات على توقع متى وكيف ينتهي هذا الوباء، والأكثر في الخطورة هو انه لا يوجد سقف زمني محدد او واضح او معلوم بقدرة المختبرات الطبية والعلمية على إيجاد معالجات او ادوية او امصال او لقاحات لمعالجة هذا الوباء او الوقاية منه.

المرحلة القادمة سوف تشهد ظهور سلوكيات وتوجهات جديدة استجابة لما افرزته الازمة

وفي اطار الازمة الحالية فقد اشارت العديد من التقارير الإعلامية الى ان الصين عادت وبقوة الى موروثها الشعبي في إيجاد حلول للمعالجة من فايروس كورونا حيث اكدت تلك التقارير ان 80 % ممن أصيبوا بالفايروس تلقوا علاجاً شعبياً تقليدياً في حين طرح نائب وزير العلوم والتكنلوجيا الصيني بان 85 % من مرضى كورونا تلقوا مزيجاً من العلاج الدوائي والتقليدي، وبغض النظر عن فاعلية العلاج التقليدي من عدمه في مواجهة الوباء، الا انه وحسب التجارب العلمية التطبيقية يؤثر بكل تأكيد على حالة الفرد وقد يمنحه قدراً اكبرَ من التوازن الداخلي المرتبط باعتقاده في فاعلية الوصفة الشعبية التي يعتبرها الصينيون جزء من موروثهم الوطني.

ان الصين عادت وبقوة الى موروثها الشعبي في إيجاد حلول للمعالجة من فايروس كورونا

الامننة الوبائية بعد كورونا:

هنالك الكثير مما يمكن ان تعاد صياغته بشكل مغاير لما هو سائد، وبهذا الصدد فان الامن (القومي والوطني وحتى المجتمعي) الذي اعيد رسمه على اثر ما أحدثته هزة 11 سبتمبر/ أيلول سيشهد مرة أخرى انقلاباً جذرياً في مفاهيمه العامة حيث تجده الان، وبعد ان بات فايروس كورونا العابر للحدود ضيفاً على أكثر من 212 دولة من دول العالم، وللمرة الثانية خلال عشرين عاماً، يعاود تغيير ثوابته ومن أكثر ما يمكن ان يتغير في عالم الامن بعد انجلاء ازمة كورونا ما يلي:

1 - لم تعد دولة المراقبة موضع انتقاد وهجوم من الراي العام كما كان الحال قبل الازمة حيث نجد ان غالبية الدول ومنها الصين والكيان الصهيوني (إسرائيل) وبعض دول الخليج قد استفادت من البيانات الشخصية لمواطنيها ومن الذكاء الصناعي المتيسر والتقنيات الحديثة للتعرف على الوجوه، وبالتالي متابعة المصابين والتحذير في الاماكن التي يتواجدون فيها.

2 - دخلت تقنية (دراون) والطائرات بدون طيار كعامل مساعد لعمليات امننة الوباء حيث استخدمت على نطاق واسع في الكثير من المهام وباتت مراكز القيادة والسيطرة جزءً حيوياً ومهماً من منظومة إدارة الازمات الطبية.

3 - الحدود والمنافذ الحدودية باتت أكثر أهمية امنياً من ذي قبل حيث لم تعد اتفاقات الدخول بدون (فيزا) او موافقات مسبقة ممكنة بل ان التشدد سيصل الى مستويات اعلى كلما لاحت في الأفق بوادر لأزمة صحية عالمية جديدة.

4 - الأمني الغذائي ستكون له أهمية أكبر مستقبلاً حيث ان الاتفاقيات التجارية والاعتماد على ما هو مستورد لن يكون موثوقا في ظل ازمة مماثلة لازمة (كورونا) الحالية، وبالتالي فان الاكتفاء الذاتي، وخاصة في المحاصيل الزراعية الأساسية، سيكون من أولويات اهداف الدول.

5 - ستتصاعد الامننة وبأشكال مختلفة مستقبلاً، فعندما جرى التعامل مع فيروس كورونا اعتبر بمثابة تهديد أمنى حيث تكررت عبارة (نحن في حالة حرب) ضمن خطابات اغلب رؤساء دول العالم، كما تم وصف (كورونا) بانه العدو الخفي وأنها أخطر ازمة صحية خلال جيل كامل تعبيراً عن التركيز على الابعاد غير التقليدية للأمن والتوسع في تعريف التهديدات الأمنية لتشمل تفشي الأوبئة وأساليب منعها او معالجتها.

تم وصف (كورونا) بانه العدو الخفي وأنها أخطر ازمة صحية خلال جيل كامل

6 - التوسع في توظيف الجيوش في مواجهة تفشي الفايروس في الكثير من الدول خاصة ذات الكثافة السكانية العالية لغرض إجراءات الحجر الصحي وحضر التجوال.

7 - دخول الجيش والقوات المسلحة في مختلف دول العالم كطرف في الوقاية والمعالجة من خلال المتوفر من الإمكانيات الطبية المتاحة لديهم من مستشفيات ومراكز صحية إضافة الى توظيف الإمكانيات العسكرية في تسريع انشاء المستشفيات وأماكن الحجر الصحي.

8 - هنالك دول اتخذت قرارات ابعد من ذلك حينما وضعت إمكانياتها في مجال التصنيع العسكري للقيام بتصنيع المعدات الطبية والصحية لمواجهة النقص الحاد فيها.

كورونا والحرب الاقتصادية:

مما لا شك فيه ان فايروس كورونا قد خلف الكثير من الاثار الاقتصادية فقد تعرضت التعاملات الاقتصادية على مستوى العالم ولمختلف الاقتصاديات العامة سواء تلك التي اعتمدت مبدأ اقتصاد السوق او تلك التي لاتزال اقتصادياتها تسير وفق ما تمليه عليه ايديولوجية الدولة والتي اتخذت من العولمة وعالمها سبيلا للتنافس او من وجدت في نيوليبرالية (تاتشر) سبيلا لها، او انها اعتمدت على سياسة اقتصاد السوق والخصخصة في كل الميادين كسياسية اقتصادية لها، فقد تصاعدت الأعباء الاقتصادية التي تواجه اقتصاديات مختلف البلدان في حين تحركت اغلب المؤشرات الاقتصادية بالاتجاه السلبي فتصاعدت معدلات الفقر

وارتفعت مؤشرات التهديدات للأمن الغذائي مما دفع بأغلب الدول التي غادرت نهائيا الأساليب الاشتراكية في دخول الدولة كطرف فاعل في السوق والاقتصاد او الدخول جزئيا في معترك اقتصادياتها للعودة مجدداً في لعب ادوارها بالتوازي مع التحولات والمتغيرات في الثوابت المالية العامة، وفي ذات الوقت الذي بدأت به الشركات الصغرى الضعيفة تواجه معضلة البقاء في مقابل الصمود الذي تصاعدت حظوظه للشركات الكبرى والقوية. واما انماط الاقتصاد الافتراضي والمتمثل بالاقتصاد المبني على التعاملات غير المباشرة فقد حققت مكاسب ضخمة، وهنالك من يرى ان هذه الازمة الدولية ستسفر عن تشكيل عولمة التباعد الاجتماعي التي تقوم على مبدأ الارتداد للداخل والتركيز على الاقتصاديات الوطنية وتقليص التجارة والتدفقات البشرية العابرة للحدود، في المقابل التوسع في تجارة الخدمات ونقل التكنولوجيا والمعرفة وانماط الاقتصاد الافتراضي عبر الانترنيت[13].

(13) علي الصالح، ملامح جديدة للاقتصاد العالمي في مرحلة ما بعد كورونا، دراسات خاصة، العدد 4 نيسان 2020، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المستقبلية، أبو ظبي الامارات ص11

مما تقدم يتضح ان تأثير الفايروس وازمته المتصاعدة هو تأثير شامل فكيف يكون لمثل هذا التأثير ان يرتدي ثوب الحرب الاقتصادية التي بولغ بالتبشير بها في بداية الازمة ومن قبل دولة ذات شان كبير في الاقتصاد العالمي؟ وعليه فان الذهاب باتجاه هذا التصور قد يعتم الصورة الا ان هنالك ارتدادات لمثل هكذا أزمات قد تكون بمستوى يمكن فيه ان تستخدم كأسلحة اقتصادية في ساحات التنافس الاقتصادي بين الدول الكبرى، وفي كل الاحول فان هنالك الكثير من التأثيرات الحاصلة نتيجة الازمة والتي تفوق كثيراً ما يمكن ان يحصل لو ان مواجهة اقتصادية، وباي مستوى كان، تجري الان بين دولتين وتتخذ شكل الحرب الاقتصادية.

ومن هنا نجد ان ما على الدول ان تعيد النظر به اقتصادياً بعد الازمة او اثناء مراحلها الأخيرة ما يلي:

أ - تصاعد الدور الاقتصادي للدولة: أي ان على الدولة ان تعيد مجدداً طريقة تعاملها مع الاقتصاد وان تذهب باتجاه حيازة أصول للشركات الخاصة ذات التأثير المباشر على المستوى الاقتصادي للأفراد والعمل وفق ما تحدده قوانين وقواعد عمل الشركات القابضة.

ب - معالجة الخلل الذي حصل في الدورة الاقتصادية لأغلب اقتصاديات البلدان مع إيجاد منافذ أوسع للإيرادات.

ت - الذهاب باتجاه خصصة القطاع الصحي كلياً بات امراً غير مقبول وعلى الدول إعادة النظر بتلك السياسة.

ث - البحث بكل الوسائل عن تنوع الاقتصاد، فالدول الريعية هي من أكثر الدول فشلاً في مواجهة الازمة.

ج - من الحقائق التي اثبتتها الازمة ان التقنيات الحديثة اثبتت انها عامل هام وحاسم في تجاوز الازمة خاصة حينما استخدمت هذه التقنيات في مجالات مختلفة منها التعليم عن بعد والعمل عن بعد وتوظيف وسائط التواصل الاجتماعي في محاكاة العقل الجمعي وغيرها من الاستخدامات، لذلك فان الولوج في هذا المجال تصنيعياً وبشكل مستقل عن باقي الدول هو امر لابد منه في مرحلة ما بعد كورونا.

ح - نجم عن الازمة ما يمكن ان نسميه فشل الشراكة الاقتصادية في التصنيع فقد أجبرت حالة اغلاق الحدود على إيقاف عمل الكثير من المصانع التي تعتمد منتجاتها على أجزاء تصنع في دول أخرى مما يتطلب ان يجري إعادة النظر جذريا في هذا النمط من أنماط العلاقات الاقتصادية.

ان الاقتصاد العالمي اذا استمرت الازمة الى مديات ابعد فانه سيكون مهدداً بفقدان اسس استقراره، وقد تجبر الكثير من الدول على إعادة نظر شاملة في كل ما يتعلق بالجوانب الاقتصادية التي تميزت بالثبوت لفترات طويلة، وهذا الامر سيولد بلا شك عالماً ذو نظام اقتصادي جديد يقترب من اساسيات الاقتصاد الاشتراكي المعدل ويبتعد بمسافات وبمراحل عن الخصخصة واقتصاد السوق، أي انه ينتزع بشكل او باخر ثوبه الرأسمالي المقيد، وبالمقابل فان ذلك لن يحصل دون خسائر كبيرة تتعرض لها اقتصاديات اغلب البلدان والتي لن تقتصر فقط على التكاليف والخسائر المادية، بل ان هنالك مؤشرات تدل على ان هذه الازمة ستؤدي الى افقار ملايين البشر وتهديد الامن الغذائي على مستوى العالم وللعديد من الشعوب وليست فقط الشعوب الفقيرة، إضافة الى احتمالية ان تتغير مراكز الكثير من الدول حيث ستغادر البعض منها جدول الترتيب العام للدول الأكثر غنى[14].

ان الاقتصاد العالمي اذا استمرت الازمة الى مديات ابعد فانه سيكون مهدداً بفقدان اسس استقراره

(14) علي الصالح، ملامح جديدة للاقتصاد العالمي، مصدر سابق ص 11

كورونا والاثار السكانية والاجتماعية:

ان مؤرخي الديموغرافيا والاجتماع وحتى علماء الانثروبولوجيا يخشون من تكرار ذات المأساة التي أطاحت بأوروبا في القرن الرابع عشر حينما انتشر وباء الموت الأسود (الطاعون) وتسبب في وفاة اكثر من ثلث سكان تلك القارة وادى الى انخفاض التركيبة السكانية وندرة العمالة وزيادة الأجور والتشكيك والطعن بالنظام

الاقطاعي، الا انه وفي ذات الوقت مهد الطريق الى ظهور بوادر الثورة الصناعية التي هي الأخرى جلبت موجات من وباء الكوليرا لبريطانيا في الاعوام من 1831 الى 1867، وقد سبق ذلك ان عاث التدرن الرئوي للأعوام من 1800– 1850 بهذه القارة فقد حصد هو الاخر الثلث من سكانها أيضا، وكانت بريطانيا الدولة الأكثر تضررا. لذلك فان ما يجري الترويج له في الوقت الحاضر من ارتفاع حدة الجانحة وتمكنها من قتل الملايين رغم ان في هذا الامر مبالغة كبيرة وغير واقعية وتفوق أي تنبؤ علمي لما حصل او يحصل او سيحصل لاحقا، الا ان مستويات الادراك المتدنية خاصة في ظل انتشار المخاطر والأزمات قد تجعل من هذه الأوهام حقيقة يؤمن بها الكثيرون ممن يجدون في كل ما يقال او يطرح او ينشر على وسائط التواصل الاجتماعي هو الحقيقة بعينها. ورغم ذلك فان منظمة الصحة العالمية دأبت ومنذ بدء انتشار الفايروس على متابعة الموقف الوبائي لجميع الدول عدا كوريا الشمالية طبعا، ومن خلال مندوبيها لتحديد اعداد المصابين والوفيات واعداد الأشخاص الذين تلقوا العلاج وتماثلوا للشفاء.

الجدول رقم (1) اعداد الإصابات والشفاء والوفيات

ت	الدولة	عدد السكان	الاصابات	الشفاء	الوفيات	نسبة الشفاء	نسبة الوفاة
1	أمريكا	331,002,615	1,656,694	438,562	98,254	%26,5	%5,9
2	البرازيل	221,559,417	340,887	135,430	21,678	%39,7	%6,4
3	روسيا	144,964,800	335,882	107,936	3,388	%32,1	%1
4	اسبانيا	46,754,778	282,370	196,958	28,678	%69,8	%10,2
5	بريطانيا	67,886,011	257,154	مجهول	36,675	-	%14,3
6	إيطاليا	60,461,826	229,327	138,840	32,735	%60,5	%14,3
7	فرنسا	65,273,511	182,469	64,547	28,332	%35,4	%15,5
8	المانيا	83,783,942	179,768	159,900	8,354	%88,8	%4,6
9	تركيا	84,339,067	155,686	117,602	4,308	%75,5	%2,8
10	ايران	83,992,949	133,521	104,072	7,359	%77,9	%5,5
15*	السعودية	34,813,718	70,161	41,236	379	%58,8	%0,5
66*	العراق	40,222,493	4,272	2,585	152	%60,5	%3,6

اعد الجدول أعلاه وباقي الجداول والاشكال من قبل الباحث استنادا الى النشرة اليومية الخاصة بمتابعة مستجدات انتشار الفايروس والتي تصدر من منظمة الصحة الدولية

* السعودية و العراق تم ادراجهما حسب تسلسلهما في عدد الإصابات لاهميتهما الإقليمية.

والجدول يمثل إحصائية بذلك حتى يوم 23 مايس 2020 على مستوى الدول الأكثر إصابة وكذلك القارات، والذي يدلل ومن خلال الأرقام على ان نسبة تفشي الوباء في العالم قياسا بما تسببته الأوبئة التي سبقته، اذ يتبين ان نسبة الوفيات لا تتجاوز الـ 5 بالمئة من ما كان يحصل اثناء انتشار الأوبئة السابقة خاصة الطاعون والتيفوس والأنفلونزا الاسبانية وغيرها.

الجدول رقم (2) إصابات كورونا حسب القارات

ت	القارة	عدد الاصابات	الشفاء	الوفيات
1	اوربا	1,885,68	863,132	169,260
2	أمريكا الشمالية	1,841,354	543,847	112,834
3	اسيا	936,282	545,847	27,056
4	أمريكا الجنوبية	592,554	220,444	30,095
5	افريقيا	107,470	43,810	3,251
6	اوقيانوسيا	8,719	8,050	123

اجتماعيا: فقد اصبحنا نعيش في عصر التميز الفايروسي الافتراضي والمفروض ذاتيا بين الذات والأخر في سائر البنيات الاجتماعية التي كانت حميمية ومنها أماكن العمل والتجمعات العامة وحتى الكنائس والمساجد والمعابد، ويمثل وباء كورونا الذي تصعب السيطرة على حركته عبر الحدود وبين القارات تذكيرا مروعا جديدا بمدى هشاشة الحياة البشرية في القرن الجديد، ولكن يمكن اعتباره الوباء الأكثر ديمقراطية في عصرنا هذا لعدم التمييز ضد عرق او جغرافيا او أيديولوجيا سياسية اودين او مذهب او ثروة او مستوى من التنمية او التخلف، لذلك نجده يعود بالشرية من جديد الى املاءات العلم والعقل بعيدا عن التنظير والطوباوية والركون الى السماء فقط، فمن دون العلم واستخدام العقل لمعالجة ازمة استفحلت على مستوى العالم لا يمكن اطلاقا المضي نحو الامام من اجل إيقاف زحفه المندفع.

اصبحنا نعيش في عصر التميز الفايروسي الافتراضي والمفروض ذاتيا بين الذات والأخر

المبررات والمحفزات لأشراك الجيوش في مكافحة الفايروس:

في أوقات الازمـات، خاصة تلك التي تتخذ طابعا وطنيا شاملا، تبحث إدارة الدولة الناجحة عن كل السبيل لإيجاد معالجة سريعة تجعلها قادرة على التعاطي مع الازمة وتلافي نتائجها السلبية باقل قدر من الاضرار والخسائر، لذلك نجدها تزج بكل الإمكانيات المتاحة وفق برامج واستراتيجيات معدة مسبقا لهذا الغرض،

بقدر تعلق الامر بالجيوش فان زجها في معترك الازمات الوطنية ليس بالأمر الجديد

وبقدر تعلق الامر بالجيوش فان زجها في معترك الازمات الوطنية ليس بالأمر الجديد بل نجدها حاضرة في اغلب تلك الازمات وفق ما تمليه طبيعة تلك الازمة ومتطلبات معالجتها او الحد منها. وفي ازمة كورونا التي بدأت تلوح في الأفق مع بداية عام 2020 وتفاقمت لتتحول الى جانحة اجتاحت قرابة 212 دولة دون ان تقيدها حدود او إجراءات امنية او وسائل مراقبة وتقنيات تفتخر بها جيوش العالم المتقدمة لتصل الى ذروتها في اذار 2020 ثم لتتصاعد محاولة الاقتراب من خمسة ملايين مصاب و400 الف حالة وفاة مع منتصف مايس، اغلب دول العالم لم تجد مناصا من ان تزج بالقوات المسلحة لتكون جزء من المنظومة الدفاعية والوقائية تجاه هذا الوباء، ونجحت العديد منها في التوظيف العلمي والدقيق والعملي لقدرات تلك الجيوش، في حين نجد ان ضعف تجربة البعض الاخر من هذه الدول وضحالة الإمكانيات المتيسرة لدى جيوشها لم يمنحها القدر الكافي من النجاح، وهنا نحاول ان نسلط الضوء على اهم المبررات والمحفزات التي دفعت إلى هذا الاتجاه.

1 - لم تعد المؤسسات المدنية قادرةً بمفردها على مواجهة الانتشار واسع النطاق لفيروس كورونا، إذ تزايد الاعتماد على الجيوش نتيجةً لأمننة التهديدات الوبائية، والحاجة لفرض إجراءات الحجر الصحي وحظر التجوال في مناطق تفشي الأوبئة، وإلزام المواطنين بتطبيق القوانين والقواعد المنظِّمة للحركة، بالإضافة إلى تعزيز ودعم قدرات قطاع الرعاية الصحية المدني، وتشييد مستشفيات ومنشآت صحية جديدة بصورة سريعة وغيرها من المهام غير التقليدية للجيوش في مواجهة الأزمات الصحية.

2 - يتعلق تزايد انخراط الجيوش في مكافحة كورونا بالاتجاه العالمي لتوسيع الأدوار غير التقليدية للقوات المسلحة و»أمننة القضايا المدنية» و»عسكرة قوات الشرطة»، حيث شهد القرنان الماضيان تمكن الدول من «احتكار القوة» بشكل أساسي، وإعادة توزيع المهمات ليصبح دور الجيش مقصوراً على الدفاع الخارجي، وليقتصر دور الشرطة على الحفاظ على السلام الداخلي، على أن يعمل كل منهما وفقًا لإطار قانوني منفصل وبمهام ومعدات متمايزة مع القيام بتدريبات خاصة لكليهما. ولكن مع بداية السبعينيات واجه هذا «المنظور التقليدي» تحديات عديدة ازدادت بعد الحرب الباردة بسبب العديد من التحديات غير التقليدية التي ترتبط بتماهي الحدود بين الدول والارهاب العابر

شهد القرنان الماضيان تمكن الدول من «احتكار القوة» بشكل أساسي

للحدود، وتجارة المخدرات، والهجرة غير الشرعية، والهجمات الإلكترونية، وغسيل الأموال، وتدهور الأوضاع البيئية، بالإضافة إلى انتشار الأوبئة كظاهرة دولية عابرة للإقليمية.

3 - مع تزايد تداعيات العولمة السلبية لم يعد الفصل التقليدي بين مهام الجيش والشرطة ممكنًا. ففي إطار العمليات الخاصة قامت قوات الشرطة وتحت مسميات جديدة (شرطة وطنية- شرطة اتحادية- حرس وطني) باستخدام المعدات العسكرية، واجراء التدريبات الشبيهة بالتدريبات العسكرية التي تتلقاها القوات المسلحة. بالمقابل، لم تعد تقتصر مهام الجيش على القتال في مناطق الحروب، بل امتدت لتشمل الحروب على المخدرات، ومواجهة التمرد والإرهاب، والكوارث، والأزمات البيئية والطبيعية، بالإضافة إلى ما يحصل الان في مواجهة مثل هذا الفيروس باعتباره تهديدًا بيولوجيًّا، ولهذا لجأت معظم دول العالم للاستعانة بخبرات ومعدات الجيش في مواجهة الطوارئ، حيث قام الجيش في العديد من الدول بالسيطرة على الحدود الوطنية وحدود المدن، واستُخدمت المرافق العسكرية لتطبيق أنظمة الحجر الصحي.

4 - تقوم القوات المسلحة بدور فاعل في التعامل مع سلسلة عريضة من الأزمات والكوارث، خصوصاً في الحالات التي ينجم عنها تدهور في الأوضاع. وفي سيناريوهات أخرى كثيرة، حتى ولو كانت من الفئة التي تنطوي على قدر محدود من المخاطرة، فإن القوات المسلحة هي التي توفر المحيط الأمني الأساسي اللازم لإطلاق سلسلة واسعة من المبادرات، حيث تمتلك القوات المسلحة عدداً من القدرات والمهارات التي تمكنها من فرض سيطرتها على الأوضاع، والتعامل معها بأقصى سرعة، وبشكل منظم ومنضبط، كل ذلك إضافة إلى ما تمتلكه القوات المسلحة من مراكز ومرتكزات ووسائل للقيادة والسيطرة وغرف للعمليات ومراكز الاستشعار عن بعد، وأنظمة التحكم والمراقبة، والتي يمكن من خلالها التخطيط والمتابعة والتنبؤ- إلى حد ما- بوقوع الكوارث، أو اتجاه تطورها بعد وقوعها، أو إمكانية حدوثها مرة أخرى. ولقد سلطت كوارث وأزمات السنوات الأخيرة الضوء على مدى فاعلية دور قدرات عسكرية معينة عندما تجد الأجهزة المدنية نفسها عاجزة عن الاضطلاع بمهمة التصدي، وفي هذا الإطار تقوم القوات المسلحة باتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ دورها في إدارة الأزمات والكوارث وفقاً لقرارات القيادات العسكرية العليا في الدولة لضمان التبادل السريع للمعلومات، وعمل التحضيرات اللازمة التي تتضمن

خطط انتشار واستخدام القوات للقيام بالمهام المختلفة في ضوء الإمكانيات والقدرات المتاحة.

5 - تملك الجيوش قدرات هائلة تمكنها من التعامل مع الأوبئة، يضاف الى ذلك أن أفرادها مدربون على التعامل مع الأسلحة البيولوجية كونها جزء من مفردات منظومات التدريب لتلافي اخطار الأسلحة الكتلوية واسلحة الدمار الشامل، ويملكون المعدات الثقيلة وتجهيزات الحماية الشخصية اللازمة للعمل داخل بيئة مصابة.

6 - تحظى الجيوش بمؤسسات طبية ضخمة وقدرات بحثية يمكن تطبيقها على العلاجات التكتيكية والبحث عن لقاحات وعقاقير مسكنة. يضاف الى ذلك القدرات الكبيرة في مجال توفير المستشفيات الميدانية المتنقلة وفتح منظومات الاخلال الطبي ذات الانسيابية العالية، وكذلك قدرتها العالية في تامين فرق جوالة قادرة للوصول الى المناطق وبقع الانتشار الفايروسي التي يصعب على باقي الجهات الصحية والطبية الوصول اليها.

7 - بجانب ذلك، تملك الجيوش القدرات اللوجستية التي تمكنها من نقل القوة البشرية والمعدات، بل ومستشفيات كاملة عبر أرجاء العالم في غضون أيام أو حتى ساعات. كذلك قدراتها في عمليات النقل المبرمج وفق سياقات جرى التدريب عليها، كما ان لها القدرة العالية على اخلاء المدنيين وفتح مراكز الايواء وتامين ممرات امنة.

8 - طبيعة الخدمة العسكرية القائمة على الولاء الوطني تجعل غالبية المؤسسات العسكرية تتميز بثقافة الخدمة الوطنية، مما يعني أن أفرادها سيكونون على استعداد للتضحية في مواجهة أخطار شخصية، مما يجعل من الجيوش في مثل هذه المواقف مزيجاً ثرياً من القدرات وفي مجالات لا يمكن تيسرها في المؤسسات غير العسكرية.

9 - تقوم القوات المسلحة بإنشاء المستشفيات الميدانية المجهزة بالأطقم الطبية، والمعدات، والأدوية لإسعاف الضحايا بموقع الكارثة، وكذلك تقوم بإمداد شبكات الكهرباء والماء بالإمكانات المتاحة من وحدات الإضاءة المتنقلة، ومولدات الكهرباء المخصصة للطوارئ، والفنيين المختصين، وتضع الخطط المناسبة لرفع كفاءة المستشفيات العسكرية، وزيادة قدرتها الاستيعابية لاستقبال الحالات المصابة، وإقامة المستشفيات الميدانية، ودعمها بالأطقم، والمستلزمات الطبية.

الشكل من اعداد الباحث

مما تقدم يتبين ان مفهوم الخدمات الطبية العسكرية قد تبلور في معظم جيوش العالم في أثناء الحرب العالمية الأولى، وأخذت منذ الحرب العالمية الثانية موقعها المهم في المؤسسات العسكرية العالمية، ثم اتسعت واكتسبت أهمية خاصة، مستمدّة من أهمية الجيوش واتساعها واستمرارية وجودها. لقد كان عدد ضحايا الأوبئة في الجيوش أثناء الحرب العالمية الأولى أكبر من عدد ضحايا المعارك الحربية، ومن هنا تتبين أهمية المجهود الطبي الوقائي في الخدمات الطبية العسكرية في السلم وفي الحرب. لقد باتت الخدمات الطبية العسكرية اليوم جزءً حيوياً ومهماً في البناء المؤسساتي لتنظيم القيادة العسكرية للجيش، ولها قدرات واسعة في توفير العناية الطبية بشتى أنواعها، سواء للقوات العسكرية ولأسر العسكريين في زمن السلم والحرب، وللعاملين المدنيين في وزارة الدفاع، وللمدنيين العاديين من المواطنين في حالات استثنائية وحين تستدعي الحاجة، وذلك من خلال القدرات الكبيرة والمتطورة في الجوانب الطبية والصحية وامتلاكها لقاعدة مادية طبية متطورة.

الغالبية العظمى من جيوش العالم استحدثت قسما متخصصا في مجال الإدارة العسكرية للشؤون المدنية

يضاف الى ذلك فان الغالبية العظمى من جيوش العالم استحدثت قسما متخصصا في مجال الإدارة العسكرية للشؤون المدنية والذي اخذ على عاتقه التعامل مع

عرت أزمة فيروس كورونا بوضوح الأنظمة الصحية العالمية

الازمات وادارتها وتوظيف إمكانيات القوات المسلحة اثناء الكوارث والاوبئة والأزمات كما انه يعتبر القسم المسؤول عن وضع الخطط والتخطيط لعمليات الإنقاذ والاخلاء وتنفيذ المهام الطبية والصحية التي يكلف بها الجيش، والاهـم من ذلك كله ان هذا القسم يقدم المشورة لوزير الدفاع ورئيس اركان الجيش حول كل ما له علاقة بالأزمات والكوارث والاوبئة وغيرها.

عرت أزمة فيروس كورونا بوضوح الأنظمة الصحية العالمية، والتي جعلت الرعاية الصحية الفائقة في العديد من الدول الرأسمالية قاصرة فقط على الأغنياء والقطاع الخاص، فمنظومة الصحة العامة إما ضعيفة ومحدودة الكفاءة أو غير موجودة على الإطلاق، ومستبدلة باحتكار الشركات الخاصة وخصخصة القطاع الطبي والصحي التي لا تقدم رعايتها سوى للقادرين ماديا. لكن تلك الأزمة أظهرت بوضوح أن الرعاية الصحية للفقراء لا تقل أهمية عن الرعاية الصحية للأغنياء، الصحة العامة يجب أن تكون في النهاية هدفا لكل الأنظمة السياسية ومحورا لعمل المنظمات الدولية خلال الفترة القادمة. وبالتالي فإن أهم درس من دروس وباء كورونا حتى اللحظة هو أنه لا غنى عن الدولة، فحتى الآن الدولة وأجهزتها، وفي مقدمتها الجيوش الوطنية وقواتها المسلحة، هي الفاعل الأهم والأكبر والمحوري في مواجهة الأعباء الاقتصادية والاجتماعية والصحية لوباء كورونا، وهو ما يعنى أن كل النظريات التي تطالب الدولة وقواتها المسلحة بالانسحاب من إدارة

الصحة العامة يجب أن تكون في النهاية هدفا لكل الأنظمة السياسية ومحورا لعمل المنظمات الدولية خلال الفترة القادمة

الجدول رقم (3) يبين المهام التي قامت بها بعض جيوش العالم اثناء ازمة كورونا

الدولة	المهام
الصين	مهام حجر وتطويق مناطقي لعدد من المدن الصينية وارسال 10 الاف جندي مع 450 طبيب عسكري الى مدينة هوبي عاصمة ووهان , نقل مساعدات طبية الى دول أخرى , بحوث لتطوير وسائل الكشف , بحوث مكثفة لتطوير لقاح
أمريكا	نشر الحرس الوطني بدل شرطة الولايات لتطبيق الحجر الصحي , نشر العديد من المستشفيات الميدانية في العديد من الولايات , ارسال سفينتين طبيتين عسكريتين الى كل من لوس انجلس و النيويورك , الغاء المناورات والتدريبات العسكرية
بريطانيا	وضع 20 الف عسكري في حالة جهوزية تامة تحت امرة وزارة الصحة , اجراء تدريبات سريعة لنقل المعدات الطبية جوا وخاصة أجهزة التنفس الاصطناعي , تطبيق خطة الطوارئ على ان يجري تنفيذها من قبل الجيش.
فرنسا	نشر القوات المسلحة بدل الشرطة لتنفيذ الحجر الصحي , غلق الحدود مع جميع الدول الاوربية المجاورة بوحدات من الجيش مع نشر100 الف منتسب لهذا الغرض , افتتاح عدد من المستشفيات العسكرية في الساحات العامة والمناطق المويوءة
روسيا	ادخال كافة القطعات المسلحة بالإنذار , ارسال تسع طائرات عسكرية محملة بالمواد الطبية مع ثمانية فرق طبية عسكرية و100 خبير بايولوجي الى ايطاليا لمساعدتها بعد تسارع تفشي الوباء
البرازيل	استدعاء 220 الف جندي احتياط لتولي مهام تطبيق الحجر في المناطق المويوءة, السيطرة على المنافذ البحرية من قبل قوات الجيش حصرا .
مصر	قيام الجيش بواجب التعقيم في كل ارجاء مصر , قيام شركات التصنيع الحربي بصناعة وتطوير معدات التعقيم والتطهير وتوفيرها بأعداد كبيرة .
الأردن	نشر الالاف الجنود في الشوارع , تفعيل قانون الدفاع وهو يمثل قانون للطوارئ أوقات الازمات , تحويل الجيش بكافة الحدود

الجدول من اعداد الباحث

الأنشطة الصحية والاقتصادية وغيرها والتحول إلى مجرد شرطي يطبق القوانين هي نظريات غير واقعية ولا تستطيع أبدا الصمود أمام كارثة بهذا الحجم.

ساهمت والى حد كبير القوات المسلحة العراقية بمختلف اذرعها وافرعها في تامين جزء كبير من متطلبات إدارة الازمة

وبهذا الصدد لابد من الإشارة الى ما افرزته هذه الجانحة من حقائق خاصة على صعيد الوطن حيث ساهمت والى حد كبير القوات المسلحة العراقية بمختلف اذرعها وافرعها في تامين جزء كبير من متطلبات إدارة الازمة فالقوة الجوية العراقية تحملت وزر نقل معدات طبية من الصين اثناء قمة تفشي المرض فيه وقامت أربع جولات لنقل تلك المعدات، في حين أسهمت الطائرات المسيرة في جزء من عمليات الكشف، ورغم ضحالة وضعف الإمكانيات الطبية للقوات المسلحة وعدم تكامل القاعدة المادية لها لحد الان بسبب الفساد المستشري في هذه المؤسسة، الا انها، ومن خلال الوحدات والتشكيلات، قامت بـأدوار مهمة في هذا المجال خاصة في عمليات نقل المصابين او الحجز المناطقي او غير ذلك، الا ان الأكثر تميزا في هذا الجانب هو هيئة الحشد الشعبي وتشكيلاتها التي أدت أدوار اكبر بكثير من سواها من مكونات المؤسسة العسكرية حيث قامت ببناء اكثر من خمس صالات لاستقبال المرضى لأغراض الحجر الصحي وفتحت قرابة 30 مستشفى ميداني في عدة محافظات الى جوار المستشفيات الحكومية وقامت بتعفير اغلب مناطق بغداد ومنها ابنية الجامعات والمدارس كما ان جميع عناصرها الطبية والصحية وضعوا تحت امرة وزارة الصحة.

ان الأكثر تميزا في هذا الجانب هو هيئة الحشد الشعبي وتشكيلاتها التي أدت أدوار اكبر بكثير من سواها من مكونات المؤسسة العسكرية

القوة الناعمة الامريكية وأزمة كورونا:

تعرف القوة الناعمة على انها مصطلح يستخدم في اطار نظرية العلاقات الدولية في الإشارة الى توظيف ما يمكن توظيفه من الموارد والأدوات السياسية لغرض فرض السيطرة على القوة السياسية المستهدفة واهتماماتها عبر مجموعة من الأدوات الثقافية والأيديولوجية والإعلامية والاقتصادية وحتى الدينية والاجتماعية بل ويمتد الامر ليصل الى موارد أخرى مثل العمل الخيري والاغاثي للتأثير على سياسة دولة بعينها،[15] في حين يعرفها صاحب الفكرة (جوزيف ناي) بانها (ممارسة القوة بطريقة جذابة مختلفة عن الطرق التقليدية لغرض فرض القوة، وهي في ذات الوقت قدرة الدولة على جعل غيرها يريد ما تريده، بمعنى ان تشكل رغبات الاخرين وتضع الاجندة لهم، فهي تستطيع ان تصل بطموحاتها الى ان تجعل الدول الأخرى راغبة

(15) مجموعة باحثين، القوة الناعمة في المنطقة العربية: دراسة في الاستراتيجيات والتاثير. مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، ط2، 2018، ص28.

في اتباعها وقبول رغباتها بطريقة لا تحتاج الى استخدام القوة الصلبة القائمة على القوة العسكرية بالأساس، وهذا ما يعرف بالقوة التعاونية او القوة الناعمة)[16].

(16) جوزيف ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 2007، ص23.

وبقدر تعلق الامر بالأزمة القائمة الناجمة عن الانتشار غير المسبوق لفايروس كورونا، والذي أوصل الأمور الى مستوى الجانحة الدولية، وباتت الازمة ذات طابع دولي شامل، نجد ان مفاتيح القوة الناعمة لم تعد كما في السابق، فلم تعد الدولة الأعظم بالعالم والمتمثلة بالولايات المتحدة الامريكية قادرة على توظيف قدراتها من اجل استخدام هذا الشكل او النمط من القوة للبقاء على قمة الهرم العالمي لأسباب متعددة من أهمها:

ان هذه الازمة اثبتت ان الولايات المتحدة لم تكن على قدر عال من القدرة على التنبؤ والتخطيط المسبق لإدارة هكذا ازمة

أ - القوة الناعمة تحتاج الى دراية مسبقة ومستقبلية بما يجب التخطيط له مسبقا مع تصور مسبق ومتكامل عن الاليات وتوقيتات التنفيذ، في حين ان هذه الازمة اثبتت ان الولايات المتحدة لم تكن على قدر عال من القدرة على التنبؤ والتخطيط المسبق لإدارة هكذا ازمة كما انها فشلت والى حد كبير في تنفيذ الاليات التي اعتمدت لاحقا بسبب التخبط في التخطيط وعدم ادراك الفواعل المؤثرة في تصاعد الازمة ونتائجها.

ب - من يمتلك أدوات القوة الناعمة يجب ان يكون هو ذاته المثال الذي يحتذى به على مستوى العالم في التعامل مع الازمات على أسس علمية ورصينة، وبالتالي فان قدرته المستقبلية على التاثير ستكون اكبر، الا ان الذي حصل اثناء الازمة هو ان الولايات المتحدة وادارتها لم تكن قادرة على اقناع العالم بانها الدولة المثالية التي يمكنها تجاوز هكذا أزمات بل انها كانت الاسوء قياسا بالكثير من الدول.

ج - غالبا ما يعتمد استخدام القوة على توفر الإمكانيات في مجالات مختلفة، وفي هذا الجانب لا يمكن نكران ما تمتلكه الولايات المتحدة من إمكانيات هائلة في مختلف المجالات، الا ان الذي اثار الدهشة وغير الصورة المرسومة عنها امام كل الشعوب هو انها لم تستطع توفير ابسط مقومات معالجة الازمة خاصة في الثلاثين يوما الأولى من تفاقمها، وبدأت الإدارة بالتشكي تجاه صعوبة توفير ما يتطلب توفيره لاقية الحجج على طبيعة النظام الرأسمالي ومتطلبات السوق.

د - عانت الإنسانية في العقدين الاول والثاني من القرن الحادي والعشرين من

ان الإدارة الامريكية تعاملت بأسلوب لا حضاري في هذه الازمة

خمسة اوبئة خطيرة حيث شهد العالم أزمات وبائية وبايولوجية مريعة منها فايروس السارس عام 2002 وانفلونزا الطيور عام 2003 وانفلونزا الخنازير عام 2009 ووباء ايبولا عام 2013 وتوجها فايروس كورونا عام 2020. وبصرف النظر عن الادعاءات الامريكية من ان الصين هي مصدر الوباء الأخير وانها هي المستفيدة من انتشاره عالمياً، خاصة في مجال حربها الاقتصادية مع الولايات المتحدة الامريكية، الا ان الواقع يشير الى ان الانسان ككائن حي والإنسانية كمجموعة بشرية هي المتضررة بالدرجة الأساس، وهنا نجد ان الإدارة الامريكية تعاملت بأسلوب لا حضاري في هذه الازمة فقد تهاوت قيمة الحياة الإنسانية للأخرين، وخاصة الشعوب التي تختلف معها هذه الإدارة منها (ايران وكوبا والصين)، وركزت في ادارتها للازمة على مصالحها السياسية والاقتصادية، وباي ثمن، وبشتى الوسائل حتى لو كان ذلك على حساب فناء الانسان وهلاك المجتمعات.[17] وهذ السلوك جعلها تتراجع كقوة قادرة مستقبلا على استخدام القوة الناعمة المقنعة للتعامل مع الشعوب.

(17) ايمن النمراوي، مدخل الى الحرب البايولوجية، جريدة الشروق القاهرية، 23 مارس2020.

هـ - حاولت العديد من حكومات العالم، وبالطرق الدبلوماسية، ان تشعر الإدارة الامريكية بان أمريكا ليست هي ذاتها قبل تصاعد الجانحة واشتداد الازمة، وذلك من خلال تقديم الدعم للشعب الأمريكي من باب العطف عليه لفشل ادارته بتلبية المتطلبات الطبية والصحية والإنسانية لأفراده، والتي كثيرا ما تبجحت بانها الاقدر على ذلك، وانها المتحكمة بمفاتيح العالم والوحيدة التي تساعد الدول ولا تحتاج الى مساعدة. ومن الدول التي قدمت المساعدات للشعب الأمريكي تركيا وروسيا والصين.

و - جائت ازمة فايروس كورونا لتعيد الجدل حول سياسة الانعزال التي تدعم انهاء الانخراط الكثيف في السياسات الدولية والعالمية، والتركيز على المصالح القومية والحفاظ على مسافة فاصلة بين الدول الأخرى، وتجنب الالتزامات التي تفرضها التحالفات الدولية والتكلفة المادية والبشرية للانخراط في الترتيبات التعاونية الدولية. وهذا الامر بكل تأكيد سيولد انكماشا كبيرا في الدور الأمريكي الريادي على مستوى العالم، وبالتالي فان أدوات القوة الناعمة التي تمتلكها أمريكا لن تكون ذات جدوى في عالم انعزالي ومنغلق بعد ان اثبتت الازمة ان الانفتاح لم يؤت بثماره في خلق تعاون بين الدول.

شكل الحرب بعد ازمة كورونا:

من الصعوبة بمكان ان نحدد شكل الحروب بعد زوال جانحة كورونا فرغم تسيد الجيلين الرابع والخامس ساحات المواجهة العسكرية المباشرة وغير المباشرة منذ اكثر من عقدين من الزمان بالنسبة لحروب الجيل الرابع والظهور الخجول المتردد لحروب الجيل الخامس في بعض المواجهات التي لا ترتقي الى مستوى الحروب، وبرغم من ان سمة اللا تماثل ستضل سائدة والى فترة ليست بالقصيرة، الا ان شكل الحرب ربما سيأخذ بعدا اخر بعد ان هزم الاقتصاد والسياسة وثوابت العولمة وفشل نجاحات النيوليبرالية على يد فايروسات لا يتجاوز وزن الملايين منها ذرات من البارود المتطاير اثناء الرمي من بندقية واحدة صنعت قبل قرن من الان، وعليه فان من المتوقع ان تكون حروب ما بعد كرونا خليطا من أنماط مختلفة متعددة ومختلفة، الا انها ستظهر بمظهر جديد وهو ان لا بساطيل (احذية عسكرية يرتديها الجنود عند في المهام العسكرية) على الأرض الا نادرا، وهذا ما يجعلها الأقرب من حيث السيناريوهات العامة الى الجيل الخامس، ولكن الاختلاف في طبيعة الأدوات التي ستستخدم والأكثر مطابقة مع مواصفات لاتزال في طور التحقق لحروب الجيل السادس، حيث يرى المنظرون العسكريون الذين بشروا بولادة الجيل السادس من الحروب ان اختلاق الأوبئة ونشرها من خلال ما يسمى بـ(أسلحة الكيمتريل)[18] هو احد أدوات هذا الجيل من الحروب، أي انها ستعتمد على توظيف الكيمياء والعلوم البايولوجية مع الفيزياء في خلق أسلحة جوالة يمكن استخدامها دون جيوش ومعدات عسكرية.

من الصعوبة بمكان ان نحدد شكل الحروب بعد زوال جانحة كورونا

(18) باسم عبد عون فاضل، حروب الجيل السادس وكارثة العالم الجديد، موقع النبأ الالكتروني،1 شباط 2019.

قد يكون شكل الحروب مزيجا من حرب بايولوجية مصحوبة باستخدام مكثف لأدوات الحرب الناعمة مع اقصى ما يمكن من تأثير نفسي على المزاج الشعبي السائد، اذا لا يشترط ان تكون الفايروسات مميتة، او قد تكون مميتة بدرجة محدودة حيث ان مثل هذا الاستخدام قد يكون عاملا حاسما في حسم نتائج الحرب. وهنا يطرح تساؤل مشروع هل ان ذلك يعني ضمن ما يعنيه الرجوع الى الحرب البايولوجية بكل ثقلها الميداني؟ للإجابة على هذا التساؤل هو ان مستوى الاستخدام وطريقته والاعلان عنه ومدى الابهام في طبيعة العامل او الفايروس المستخدم وغيرها ستكون مختلفة تماما، أي ان أدوات التنفيذ وأساليب القتال البايولوجي ستكون اكثر تقنية من مجرد عبوات لفايروسات او مسببات مرضية ووسائط ايصالها الى مواضع العدو.

ادركت التنظيمات الإرهابية مدى تأثير مثل هكذا أساليب في رفع قدرتها في مواجهة الدول

بالجانب المقابل فقد ادركت التنظيمات الإرهابية مدى تأثير مثل هكذا أساليب في رفع قدرتها في مواجهة الدول او التحالفات، لذلك فأنها ستعمل بكل جهد في ان تعيد النظر في تجاربها السابقة وبأساليب غير تقليدية في القتال. وبالتأكيد فان عملية منظمة (اوم شوريكو الإرهابية) في اليابان واستخدامها للغازات السامة في محطة مترو طوكيو يوم 20 مارس 1995 والتي أدت الى مقتل 13 شخص واصابة قرابة الـــ5000 اخرين،[19] ورغم انها عملية إرهاب كيميائي الا انها يمكن ان تكون محفزا لعمل ارهابي بايولوجي لاحق، خاصة وان هنالك محاولا ت سابقة لاستخدام الجمرة الخبيثة لهذا الغرض، لذلك فأنها ستحاول إيجاد أسلحة ذات تأثير بايلوجي غير معروف يعطي نتائج نفسية وميدانية ويفتح المجال لاحتمالات كثيرة حتى وان كان تأثير ذلك مؤقتا، وبالتالي فان ما ستكون عليه طبيعة المواجهة العسكرية مع التنظيمات الإرهابية بعد ازمة كورونا وتداعياتها هي الأخرى خليط من أساليب قتال إرهابية، وبأدوات غير متناظرة مع احتمالية ان تتداخل طبيعة الحروب مع التنظيمات الإرهابية، حيث سيكون للحروب شكلها القائم والمتمثل بخليط من حروب الجيلين الرابع والخامس ولكن بظهور اقوى لأدوات الجيل الخامس مع عودة ذات قدرات تقنية عالية للحروب البايولوجية، يصاحب كل ذلك محاولات لأثبات الوجود وليس للسيطرة المطلقة على الفضاء السيبراني مع قدرات عالية على التحكم بمفاعيل وسائط التواصل الاجتماعي لكن بأساليب غير التي كانت سائدة، فإنتاج فديو او فيلم قصير عن خبر انتشار فايروس في منطقة معينة وبإخراج متقن ولدقائق معدودة قد يكون له تأثير مباشر وغير مباشر اكثر بكثير من مئات العبوات الناسفة او غيرها من أساليب القتال والفعاليات الإرهابية المعروفة والمعتادة.

(19) محمود امراغي، سفر الموت، وثائق الخارجية الامريكية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2003، ص236.

حرب مكافحة الإرهاب هي الأخرى يجب ان تغير سواء في أساليب خوضها او حتى ادواتها واسلحتها. فالمستقبل يختلف جذريا عن ما هو قائم الان، ولذلك فاحتمالية اعتماد العدو على أساليب اكثر تدميرا واحداثا للخسائر في القطعات القائمة بمطاردته دون اللجوء الى المواجهة المباشرة او تفخيخ للمنازل او ارسال عجلات مفخخة، بل سيلقي باقل من عشر مليغرامات من فايروس مشابه لكورونا ينشره على الاسطح ليحيل جيشا بكامله الى قاعات العزل. بالتأكيد انها حرب بايولوجية الا انها مقننة يراد منها شل حركة القطعات التي تتصدى للعمليات الإرهابية، وبالمقابل فان عوائق كثيرة ستضاف الى القوات المكلفة بمكافحة الإرهاب وابسطها ان تجهيزات الحماية الشخصية ستزداد ثقلا بعد ان يضاف اليها ما تتطلبه الحرب البايولوجية

ومخاطرها، يرافق ذلك تحديد اكبر في حركة المقاتل، وبالتالي حركة القطعة او الوحدة العسكرية ككل مع ضياع بالوقت من اجل الفحوصات واجراء التطهير اللازم.

تأثير الأوبئة على سير الحروب والعمليات العسكرية:

أشار المؤرخ الاغريقي (ثوسيديديس) صاحب كتاب (تاريخ الحروب البيلوبونسية) إلى كيف ان الوباء الذي ضرب أثينا في السنة الثانية من هذه الحرب- أي في سنة (430) قبل الميلاد- أدى الى نشر الشعور بالإحباط لدى الشعب الاثيني واضعف القيادة السياسية وحد من قدرات الجيش على تحقيق الأهداف العسكرية التي كان ينبغي تحقيقها خلال هذه الحرب ضد اسبارطة.[20] فقد تسبب الوباء في موت قرابة ثلث سكان أثينا بما فيهم (بريكليس) قائدهم السياسي والعسكري. وبالتأكيد فان أثينا لم تستطع الصمود وانهارت جبهتها الداخلية بسبب كثرة الوفيات لتستسلم وتخسر الحرب، ورغم ان الأوبئة اللاحقة لم تستطع فعل ما فعله وباء أثينا حينها، وعلى مدى اكثر من 2300 عام الان ان نهاية الحرب العالمية الأولى والتفشي السريع لوباء الأنفلونزا الاسبانية الذي قتل بين 25 الى 30 مليون من سكان أوربا، واكثر من نصف مليون امريكي اخذ حصته من جنود الحلفاء، حيث أصيب قرابة 294 الف جندي من قوات الحلفاء في خريف عام 1918 وحده، وتسبب في مقتل 23 الف منهم ممن لم يموتوا برصاص الحرب التي كان دخان قنابلها لايزال ينبعث في خنادق الجيوش المتحاربة. وهذا الوباء لم يكن فقط سببا في موت هذا العدد بل انه اثر كثيرا على أداء القطعات وانهك والى حد كبير منظومة الدعم اللوجستي للجيوش.

(20) د. شادي عبد الوهاب منصور، ماهي مهام وادوار الجيوش في ازمنة الأوبئة: دراسات خاصة، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، العدد7، أبو ظبي، 2020، ص18.

وفي الحرب العالمية الثانية أدى تفشي التيفوس الى تأثيرات سلبية كبيرة على الأداء العملياتي والتعبوي للتشكيلات الامريكية خاصة في مناطق جنوب شرق اسيا حيث مسرح العمليات الأمريكي الاوسع في بدء مشاركتها في هذه الحرب، الا ان الامر كان اكثر خطورة حينما حطت الجيوش الامريكية رحالها في شمال افريقيا لمقاتلة جيوش المحور بقيادة رومل اذ تسبب هذا الوباء بإصابة 102 الف جندي امريكي، مما اضطر الرئيس الأمريكي روزفلت الى ارسال لجان لتقصي الحقائق حول تلك الاعداد. ولم يتوقف الامر عند هذا الحد بل جاء وباء حمى الضنك ليصيب 90 الف جندي، ثم الملاريا لتحيل اكثر من 470 الف جندي الى مستشفيات الميدان للمعالجة. البحرية الامريكية هي الأخرى كان حصتها ثلث قوة فرقة المشاة البحرية

الأولى التي أصيبت بأوبئة استوائية غير معروفة حينها مثل (الزحار) وغيرها، مما أدى الى الغاء مهام هذه الفرقة لأكثر من ستة اشهر.

اليوم نجد ذات الحالة تتكرر ولكن دون حروب واسعة النطاق، فهذه حاملة الطائرات (ثيودور روزفلت) تتوقف عن الخدمة بعد إصابة اكثر من خمسة الالاف من بحارتها لترسو قبالة ساحل جزيرة كوام معزولة عن اليابسة، في حين أعلنت الكثير من دول العالم ان جنودها، واثناء مشاركتهم بمهام لمكافحة الفايروس، قد أصيبوا به. وقد أعلنت ايران ذلك صراحة دون سواها فقد ذكر الحرس الثوري الإيراني عن وفاة 133 من منتسبيه وهم يكافحون الوباء، كذلك الحال لروسيا وإيطاليا وألمانيا وبريطانيا التي أعلنت عن إصابات بين صفوف قواتها دون ذكر الاعداد.

ورغم كل ذلك فان تفشي الوباء لم يمنع من استمرار الحروب والصراعات القائمة فقد فشل مجلس الامن وقبله الأمم المتحدة في استصدار قرار بوقف اطلاق النار في جميع انحاء العالم لكي يتفرغ العالم لمكافحة الاوباء، حيث دعا الأمين العام للأمم المتحدة يوم 23 اذار 2020 الى وقف فوري لكل النزاعات على مستوى العالم، وكانت اخر محاولات مجلس الامن الفاشلة في هذا الصدد يوم 20 مايس 2020. فليبيا شكلت نقطة تحول اثناء هذا الوباء، فبدل ان تهدا المعارك نجدها تصاعدت الى أقصاها بين الجيش الليبي بقيادة حفتر وبين جيش حكومة الوفاق، وفي سوريا بقي الوضع على ما هو عليه رغم تفشي الوباء في مناطق القتال، في حين عزز الجيش التركي تواجده بقوات إضافية تقدر بـ500 جندي واستغل الحالة القائمة ليقوم بفتح خمسين نقطة مراقبة جديدة في ادلب. اما اليمن فقد شهدت تصاعداً غير مسبوق رغم ان مندوب الصحة العالمية فيها انذر بالخطر وخروج الوباء عن السيطرة. الجيش الفرنسي هو الاخر تضرر بشكل كبير وهو يخوض غمار حرب مكافحة إرهاب في منطقة الساحل في افريقيا حيث أصيب 600 جندي بالوباء من المشاركين في عملية عسكرية هنالك اطلق عليها (برخان العسكرية)[21].

تفشي الوباء لم يمنع من استمرار الحروب والصراعات القائمة

(21) د. شادي عبد الوهاب منصور، ماهي مهام وادوار الجيوش، مصدر سابق، ص15.

التقنيات بين الاستخدام الحربي والاستخدام الطبي والصحي:

أسهم انتشار هذا الوباء الى حد كبير في تسريع عملية التحديث التقني وعلى مختلف الأصعدة وخاصة في المجالات التي أصبحت بها التقنيات الشغل الشاغل لعموم المجتمع، وأصبحت عملية التحول التقني لا غنى عنها لجميع المجتمعات

ان الاهتمام بالأمن السيبراني سيصبح ضرورة لا غنى عنها

ولتسيير الحياة وتيسرها وعلى مختلف الأصعدة، واصبح الانترنيت بكل مخرجاته ووسائط التواصل الاجتماعي هي الملجأ والملاذ والمخرج الوحيد للغالبية العظمى من البشر بعد ان اقتضت الضرورات الطبية اجراء الحظر الشامل في غالبية دول العالم، لذلك فان الاهتمام بالأمن السيبراني سيصبح ضرورة لا غنى عنها ولا يمكن تجاهلها والى الحد الذي يصبح هذا الفضاء جزء من المنظومة العسكرية والأمنية للمجتمع لأهميته البالغة.

وفي الوقت الحاضر فان اغلب الدول باشرت بتطوير بحوثها في هذا المجال من خلال العمل على انشاء وتطوير المراكز البحثية والمعامل والمختبرات والاجهزة الأخرى إضافة الى إعادة النظر الجذرية بطبيعة وتكوين الوحدات المسؤولة عن الامن القومي والوطني والمجتمعي، خاصة بعد ان اتضحت الحالة بعد تصاعد الازمة من ان الكثير من المهام تقع على عاتق القوات الأمنية اثناء هكذا أزمات ومنها فرض حظر التجوال الاجباري الصحي ونقل المرضى والقيام بعمليات التطهير واستخدام الطائرات لغرض نقل المعدات العسكرية والاستخدام المبرمج للطائرات بدون طيار في عمليات الكشف والمراقبة والتحقق.

ان مستقبل التقنيات بشكل عام غالبا ما سيكون مزدوج الاستخدام حيث سيضطر كل مبتكر حديث او أي تطوير يحصل في التقنيات القائمة الى الاخذ بنظر الاعتبار ما ألت اليه الازمة الحالية من حقائق لا يمكن اغفالها خاصة في مجال التقنيات التي لها مساس بالعنصر البشري، كذلك ستتم إعادة تقييم شاملة لأغلب المبتكرات التقنية القائمة والمستخدمة بالوقت الحاضر وتحديد مدى قدرتها على الإنجاز الوظيفي والعملي المطلوب منها، وهل ان هذه المبتكرات استطاعت تجاوز الازمة الحالية بكفاءة عالية؟ واذا كان المبتكر جديدا، فإلى أي مدى سيكون قادرا على العمل في ظل الازمات المتصاعدة؟ وفي ذات الوقت فان التجهيزات والأجهزة والمعدات التي برزت أهميتها اثناء هذه الازمة مثل أجهزة التنفس الاصطناعي وأجهزة التعفير والتطهير وأجهزة الكشف المبكر وأجهزة قياس درجات الحرارة وأجهزة الحجر الفردي إضافة الى الكمامات والكفوف والاقنعة الواقية وعجلات الإسعاف المخصصة للنقل الخاص بالمصابين بالفايروسات وحتى وسائل التعامل مع جثث الموتى ودفنها، إضافة الى الطائرات المسيرة التي لها القدرة على كشف المصابين او طائرات النقل الخاصة بنقل عينات المصابين الى مراكز الفحص والعربات والروبوتات المستخدمة لتقديم الخدمات

العالم سيكون بعد كورونا (كوفيد 19) مختلفا اختلافا جذريا

للمصابين، جميع هذه المعدات ستدخل في سباق لغرض تطويرها بما يتلاءم والاحتمالات المستقبلية لمثل هذه الازمات. كما ان الجيوش ستكون لها أولويات في الاحتفاظ بكميات واعداد منها تتناسب وخططها المستقبلية فيما لو تكررت الازمة بصورة اكثر شدة مما هي عليه. من هنا فان العالم سيكون بعد كورونا (كوفيد 19) مختلفا اختلافا جذريا، وفي كل شيء، عما كان الامر عليه قبل ذلك حتى في طبيعة التجهيزات العسكرية التي سيرتديها المقاتل في جبهات القتال وأساليب الجيش في إدارة الازمات وطبيعة المواد والتجهيزات والأجهزة التي سيحتفظ بها كاحتياط لمعالجة الازمات الطارئة.

الخاتمــة:

لا يمكن اغفال ما حصل والعودة بالعالم الى ما قبل تصاعد ازمة كرونا وتداعياتها، فالمتغيرات التي حصلت على مختلف الأصعدة، والتي حاولنا تبيان قسم منها لم تكن مجرد رد فعل مؤقت لانتشار فايروس يصيب الجهاز التنفسي ويتسبب في مقتل سبعين شخصا من كل الف مصاب حتى 20 مايس 2020، أي بمعدل أربعة الى خمسة اشخاص من كل مليون من سكان العالم. ان هذه الجانحة ولدت هزة عنيفة على مستوى العالم أطاحت والى الابد بالكثير من الثوابت، حيث اهتزت اركان العولمة واسكتت المبشرين بالنيولبرالية واعادت مجددا التفكير بالعودة الى الدولة القومية القوية وشككت بمصداقية التحالفات، كل ذلك إضافة الى متغيرات أخرى في ثوابت ستنهار لاحقا كنا نظن انها- والى وقت قريب- غير ممكنة التغيير على اقل تقدير في الاجل القريب والمتوسط.

ان الاقتصاد والسياسة والامن والوضع الاجتماعي جميعها ستعيد قراءة ما حصل لتخرج بمحصلة جديدة تحاول فيها معالجة الخلل الذي برز في كل المستويات، وستعاود غيوم الحرب البايولوجية غير المعلنة ظهورها بكثافة اكبر في سماء العالم دون ان تستطيع قوانين وقرارات وتوصيات وبروتوكولات الأمم المتحدة او مجلس الامن ان تحد منها، وستظهر الحاجة وبقوة مجددا الى التفكير الجدي بمدى الحاجة للخصخصة في المجال الطبي والصحي والتي اثبتت تجربة كورونا فشلها الذريع هي والأنظمة الصحية القائمة لأغلب البلدان. وعليه فأننا سنغادر بعد مغادرة كورونا ان لم نكن قد غادرنا فعلا الكثير من الرؤى والافكار والثوابت لتحل محلها حقائق جديدة افرزتها جانحة كورونا وتداعياتها.

قائمة المصادر:

أولاً- الوثائق:

1 - اتفاقية حظر الاسلحة البيولوجية الصادرة عام 1972 من المنظمة الدولية للامم المتحدة.

ثانياً- الموسوعات:

1 - مجموعة باحثين، الموسوعة العسكرية، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1988.

ثالثا- الكتب:

1 - البلاذري، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت،1983.

2 - جوزيف ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2007.

3 - مايكل لي لافغ، معارك مؤثرة في التاريخ، دار سطور، بغداد، ط1، 2020.

4 - مجموعة باحثين، القوة الناعمة في المنطقة العربية: دراسة في الاستراتيجيات والتاثير، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، ط2، 2018.

5 - محمود امراغي، سفر الموت: وثائق الخارجية الامريكية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2003.

6 - مصطفى زينهم عاشور، الميكروبات والحرب الجرثومية، منشأة المعارف، القاهرة، 2005.

7 - هالة الحفناوي، سيكولوجيا الاوبئة: ماذا يحدث للمجتمعات عند تعرضها لوباء مفاجئ، مركز المستقبل للدراسات والبحوث، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة،2020.

8 - يوسف عبد الله جمل الليل، اسلحة الدمار الشامل مكتبة جبل المعرفة، الرياض، ط2، 2003.

رابعا- البحوث:

1 - د. شادي عبد الوهاب منصور، ماهي مهام وادوار الجيوش في ازمنة الاوبئة: دراسات خاصة، مركز المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، ابو ظبي، العدد: 7، 2020.

2 - علي الصالح، ملامح جديدة للاقتصاد العالمي في مرحلة مابعد كورونا: دراسات خاصة، مركز المستقبل للابحاث والدراسات المستقبلية، ابو ظبي، العدد 4، نيسان 2020.

خامسا- الصحف:

1 - ايمن النمراوي، مدخل الى الحرب البيولوجية، جريدة الشرق المصرية، 23 مارس 2020.

سادسا- شبكة المعلومات الدولية:

1 - باسم عبد عون فاضل، حروب الجيل السادس وكارثة العالم الجديد، موقع النبأ الالكتروني، 1 شباط 2019.

2 - كيف تعمل الحروب البيولوجية والكيمياوية، تقرير على موقع العربية منشور يوم 20 اذار 2020.